جامعة السويس
كلية التربية بالسويس

Suez University
Suez Faculty of Education

التصور النبوي لبناء العقل العلمي: منظور تربوي إسلامي

إعــداد/
د. محمد درويش درويش
مدرس بقسم أصول التربية

مجلة كلية التربية بالسويس– المجلد السادس– العدد الأول– يناير ٢٠١٣م

التصور النبوي لبناء العقل العلمي: منظور تربوي إسلامي

د. محمد درويش درويش
مدرس بقسم أصول التربية
كلية التربية – جامعة السويس

مقدمة

يرفض المنهج النبوي الجهل، وما يجره وراءه من السعي وراء الخرافات، ولا يُقر إلا ما يتفق مع الدين والعقل والمنطق، فهذا ما يليق بالإنسان المُكلف بعمارة الحياة في مختلف جوانبها.

ولا بُدَّ أولاً من التفرقة بين ما هو (غيبي) وما هو (خرافي)؛ حتى لا يتم الخلط بين عالم (الغيب) وعالم (الخرافة) فتسود المفاهيم المغلوطة، وتنتشر الأساليب غير السوية، ماديًا ومعنويًا. فالغيب موجود وإن كان غير محسوس بطريق مباشر، أما الخرافة، فهي غير موجودة، وتقوم على الربط بين أشياء لا رابطة سببية بينها(١).

وقد أكدت دراسة "**أهمية التثقيف العلمي للطفل**" أنَّ الإيمان بالغيب واجب على كل مسلم، وهو يشمل كل ما لا يُدرك بالحواس، وإنما جاء به الوحي –قرآنًا وسُنَّة صحيحة، وأن كتاب الكون (الطبيعة) سخره الله للإنسان ليكشف عن سُننه وقوانينه، وينتفع به في إعمار الحياة الدنيا وفقًا لحدود الله عز وجل، وأنه لا يصح أن نفسر الظاهرات الكونية تفسيرًا ماديًا، وإنما الواجب أن نفسرها تفسيرًا إيمانيًا(٢).

وعندما تتكوّن المفاهيم من ربط الواقع بالمعلومات، يتبلور هذا التكوين حسب القاعدة أو القواعد التي يجري عليها قياس المعلومات والواقع، حين الربط، ثمَّ تُوجد بذلك للشخص عقليّةٌ تفهم الألفاظ والجمل، لِتُدْرِكَ المعاني بواقعها المشخّص، وتُصدر حكمها عليه، فالعقليّةُ إذًا هي الكيفيّة التي يُرْبَطُ فيها الواقع بالمعلومات،

بقياسها إلى قاعدةٍ واحدةٍ أو قواعد معيّنة، ومن هنا يأتي اختلاف العقليات كالعقلية العلمية، والعقلية الخُرافية[٣].

وفي سبيل تكوين العقل العلمي تسعى السُّنَّة النبوية إلى أن تُحرر العقل من كل قيْد يعوقه، ومن الخرافة التي يعتقدها بعض الناس، وترسخ في أذهانهم وأنفسهم، من غير أدلة تقوم عليها، وتستند إليها، كما ترفض العقلية المستسلمة لكل ما يتوارثه الناس، دون مناقشة له[٤]، وقد أكدت دراسة "**العقل العربي وإعادة التشكيل**" أن أحد أسس بناء العقل وتشكيله يتمثل في وجود منهج تفكير، يؤصل المعرفة الحقيقية، ويخلص من الخرافة[٥]، كما أكد "**ميثاق الأسرة في الإسلام**" أنَّ الله سبحانه وتعالى منح الإنسان العقل والإرادة الذي يستطيع بهما: إما الانحراف عن فطرته أو الارتقاء بقدراته حسب مكتسباته المعرفية، وملكاته الروحية، وظروفه الاجتماعية[٦].

ولهذا ارتفع النبي صلى الله عليه وسلم بموقف الإنسان- كإنسان له عقله وفكره وثقافته ودينه ورسالته-، بحيث يكون له موقفه المحدد، وقراره الخاص، ورأيه المعلن، ليس تابعًا لفرد ولا مجموعة، بحيث تفقده عقله ورشده، وتفكر عوضًا عنه، فتتخذ له قراره هو، ولا يتخذه لنفسه[٧]، فقال: «**لا تَكُونُوا إِمَّعةً؛ تَقُولُونَ: إِن أَحْسَنَ النَّاسُ؛ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا؛ ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ؛ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ؛ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ اسَاءُوا؛ فَلاَ تَظْلِمُوا**»[٨].

وحينما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الناس بعدم تأبير النخل، أي تلقيح إناثها بطلع ذكورها، ثمَّ تبين أنَّ ذلك يؤدي إلى عدم إثمَّارها، ذكر أنه إنما تحدث في ذلك برأيه الخاص، وأن رأيه الخاص عرضة للخطأ والصواب، وأن هذا الحكم يسري على كل ما يتحدث عنه من أمور الدنيا، وأن للناس الحق في البحث في أمور دنياهم وعلاجها على الوجه الذي تهديهم إليه تجاربهم وأفكارهم، وأنهم قد يكونون أعلم ببعضها منه صلى الله عليه وسلم نفسه، وأن الأمور التي

كُلف تبليغها إلى الناس من قبل الله عز وجل –وهي التي لا يمكن أن يتطرق إليها الشك–، مقصورة على شئون الدين: عقائده وشرائعه[٩].

فعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟» فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ. يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ. فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا. فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ. وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ. فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١٠].

فهناك عقلية خرافية تُصدق غالبًا كل ما يقال، وتقبل كل ما يُلقى إليها من الآخرين، كما تنقاد لما عليه عامة الناس صوابًا كان أو خطأ، ولا تخضع أفكارها ومعلوماتها لمناقشة أو اختبار، شعارها: "هذا ما وجدنا عليه آباءنا"، أو "نحن مع الناس أحسنوا أو أساءوا"[١١]، وهي حالة تُمثل التحجر العقلي والنفسي؛ إذ لا تقوم على علم ورؤية، ولا تعتمد على تفكير، ولا تستند إلى قوة، إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل[١٢].

وتتعدد صور التفكير الخرافي، ومن ذلك: الربط بين ظاهرتين أو أكثر ربطًا مبتسرًا، كمن يربط بين حمل "حجاب" وبين النجاح في الامتحان، وبين زيارة الأضرحة –مثلاً– والشفاء من المرض، رغم أنَّ موضوع التفكير كله مما هو ملموس ومادي[١٣]، واختيار اسم إنسان –خاصةً في الأوساط الشعبية– اعتقادًا أن يكون دارئًا لوقائع وأحداث ما؛ ويشيع هذا بالنسبة لأسماء الذكور لا أسماء الإناث؛ لأنَّ الثقافة العربية عمومًا تجد أنَّ الذكر هو الذي يُحسد عليه لا الأنثى[١٤].

وتوصلت دراسة "**أسماء المصريين: الأصول والدلالات والتغير الاجتماعي**" أن للأسماء علاقة بالعرافة؛ ولذا فإن استشارة العرّافين قبل تسمية الطفل وإتباع ما يختارونه له لا تزال تُمثل عادة شائعة عند قلة من الناس في مجتمعنا؛ لأنها تريد التأكد من موافقة اسم طفلها لنجمه(١٥).

وقد سادت المجتمعات البدائية الأولى نظم دينية، قامت على أساس من الخرافة، ولعبت دورها الفعال في حياة هذه المجتمعات، وأثرت إلى حدٍ كبيرٍ في بنائها الاجتماعي والسياسي والفكري والاقتصادي(١٦)، وإذا كان الإنسان قد لجأ في فجر تطوره الفكري إلى هذا الأسلوب البدائي من أساليب التفكير الذي يرتكز على الخرافة، فإن العجب حقًا أن تستمر هذه المعتقدات الخرافية متسلطة على العقول حتى عصرنا الحالي، على الرغم من أننا نعيش في مجتمع يتسم بالتفكير العقلاني العلمي، وأن تنمو عقلية الخرافة على نحو ملحوظ حتى في المجتمعات المتقدمة، "ففي إنجلترا –مثلاً–، نجد أن المستويات الحالية للمعتقدات الخرافية والسلوك الخرافي ترتفع بمعدلات مذهلة، حتى بين الطبقات التي تتميز بخلفية علمية"(١٧).

وفي الاستفتاء الذي قامت به مؤسسة جالوب **Gallup** بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٦م على عينة من ألف شخص لمعرفة مدى الاعتقاد بوجود الخرافة، وُجد أن: "٥٣% يعتقدون أنهم –على الأقل– لديهم أفكار خرافية محدودة، و٢٥% يؤمنون بالخرافة بدرجة كبيرة"، كما كشف استفتاء آخر في العام ذاته أن نسبة ٧٢% من عامة المجتمع يمتلكون تعويذات وأحجبة للفأل الحسن(١٨).

أما في المجتمعات الإسلامية والعربية، فمن المذهل أن تنمو لدى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، والذي لا تدع حياته وتصريف شئون أمته مجالاً لأي شك في جدية أخذه بالأسباب وتدبير الأمور، وسعيه بالجد والاجتهاد في كل ما تصدى له؛ فإذا بأتباع هذا النبي صلى الله عليه وسلم ينتهي كثيرٌ منهم إلى الخرافة التي تنأى بهم عن سُبُل العلم والبحث(١٩). ولعل من أسباب ذلك أن بعض الناس يرون الدجال بمظهر يوحي بالرصانة والالتزام، أو أنهم يرون شبهًا

بينه وبين رجل الدين، فيصنفونهما في جانب واحد، أو أنهم يرون الدجال يقوم بخدمات إنسانية وإصلاحية فيغترون به، أو أنه يضع في غرفته الآيات القرآنية ويكتبها مع أسماء الله الحسنى في أوراقه فيظنه الناس تقيًا، فضلاً عن أنه يتعهد صنع هالة حوله من الأتباع والخدم، أو الطقوس الغريبة ليوحي للمتردد عليه بأنه شخص غير عادي.

وقد أكدت دراسة عبد الرحمن عيسوي أن مما يساعد الخرافة على الانتشار احتمائها وراء بعض المفاهيم الدينية وتسترها خلفها[٢٠]، كما أكدت –أيضًا– دراسة إبراهيم بن أحمد الحكمي أن الذين يمارسون الشعوذة يتسترون بمظهر التقوى والصلاح وادعاء العلاج بالرقية الشرعية[٢١].

فما أكثر ما ينتشر –حاليًا– بين عامة الناس من خرافات يحاربها الدين، ويأباها العلم، ويرفضها العقل، بل لقد اعتقد بعض الناس أنَّ النجوم والكواكب، التي تبعد عنا مسافات يصعب على العقل البشري حتى تخيلها، تتحرك في مداراتها ومساراتها محدثةً تغييرات في حياتنا على الأرض من أجل تحقيق السعادة أو التعاسة في حياة شخص ما. وإن تصديق بعض الناس لمثل هذه الخرافات وما شابهها –والتي لا نصيب لها من الحقيقة والمصداقية– والانسياق بسهولة وراءها يدل على افتقاد العقل العلمي الناقد.

مشكلة البحث وأسئلته

لقد صارت المعتقدات الخرافية جزءًا من التراث الاجتماعي الذي ورثناه عن الأجيال السابقة، والذي لم يعد تأثيره مقصورًا على أفكارنا وأساليبنا فحسب، بل انتقل إلى عواطف الناس وعوالم شخصياتهم، ولم يعد التخلص منه بالأمر الهين الذي يمكن تجنبه لمجرد علمنا بخطئه، فضلاً إلى ذلك، اهتمام الناس الطبيعي بكشف الغيب ومعرفة المستقبل، وأن ما يقدمه الدجالون يصادف هوى في نفوس كثير من الناس؛ إذ يوهمهم برفع الأذى عنهم أو إيقاع الضرر بأعدائهم[٢٢].

ومن المؤسف أنَّه لا يزال هناك كثير من الخرافات تنتشر في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، يقف وراءها من يستغلون سذاجة بعض الناس باسم العلم أحيانًا، وباسم الدين أحيانًا أخرى، مدعين قدرتهم على الحكم على الناس وتعرف مستقبلهم والتنبؤ بمصيرهم، بل والقدرة على علاجهم مما يقاسون من قلق واضطراب نفسي أو عقلي، ويجد هؤلاء الناس في مثل هذه الأباطيل ملجأ لهروبهم من مواجهة مشكلاتهم بدل أن يتحملوا مشقة التفكير في هذه المشكلات لحلها بالطرق العلمية السليمة[٢٣]، ولا شك أنَّ انتشار مثل هذه الخرافات من شأنه أن يعطل جهود التنمية ويحول دون تقدُّم المجتمعات، فضلاً عن الاستنزاف غير المباشر من تغييب للعقل وإغراق في الخرافة مما ينعكس سلبًا على منظومة التفكير لدى هؤلاء الأفراد.

ولا شك أنَّ التفكير الخرافي يعوق التقدم العلمي والتكنولوجي، ويبعد الفرد عن التفكير المنطقي والاستدلال الصائب والأحكام الصحيحة والاعتماد على الحقائق الموضوعية والوقائع الثابتة، كما يؤدي إلى وقوع كثير من المآسي الاجتماعية، والخصومات بين أفراد المجتمع الواحد، كما يُلاحظ –أحيانًا–أن بعض المتعلمين يتأثرون بالتفكير الخرافي، ويزداد اعتقادهم فيه؛ كلما زادت مشكلاتهم وتعقدت أمور حياتهم بدرجة تقل عندها قوة مقاومتهم العلمية، كما يحدث في حالات القلق النفسي التي تجعل تفكير الأشخاص يتجه نحو الأساليب الخرافية ويُباعد بينهم وبين التفكير العلمي السليم[٢٤]، ولعل مصداق هذا يكمن –أيضًا– فيما يُشاهد من سلوك بعض خريجي كليات علمية وعملية، لكنهم يتخلفون في نهج حياتهم، إذ لا مانع عندهم في الإيمان ببعض الخرافات والسلوك وفقًا لها.

وإذا كان صلاح التربية والتعليم مرتبطًا بصلاح فكر الإنسان، فيُصبح من أهم وظائف المُربي أن يُحيط هذا العقل بكل ما يمكن تصوره من رعاية وأصول وقواعد حتى يمكن له أن يقوم بما يجب عليه أن يقوم به، كما يجب على كل

إنسان أن يكون على قدر عال من الوعي بتلك الجهود الحثيثة لاختراق العقل من خلال الأفكار والقيم والمفاهيم[٢٥].

ومن جهة أخرى، فقد وصل الإعلام المرئي –حاليًا– إلى درجة كبيرة من الخطورة والتأثير بحيث أصبح قادرًا على أن يسحر أبصار الناس وأسماعهم وعقولهم، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول منبِّهًا: «**إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»[٢٦]؛ فانطلاقًا من العلاقة بين تأثير الرجل البليغ في المتلقي وتأثير الساحر في السامعين والحاضرين؛ سُمي البيان سحرًا، "فبلاغة الطرح، وامتلاك القدرة على استخدام وسائل التأثير، تُسحر الإنسان، فلا يعود يبصر الحق، وإذا امتلك حرية التفكير، فإنه يفتقد حرية الاختيار، وينساق وراء الباطل"[٢٧].

وقد توصلت دراسة "**دور التلفزيون في التنمية الثقافية للأطفال: مصر نموذجًا**" إلى أنَّ هناك عددًا لا يُستهان به من الأعمال الدرامية الموجهة للأطفال لجأ إلى الطرق الخرافية وغير العقلانية لمواجهة المشكلات التي تواجههم، وذلك لحلها والتغلب عليها، كما أنَّها لم تهتم بطريقة كافية بتقديم ما يتضمن تدريبًا لمشاهديها على كيفية التفكير بطريقة علمية، وهذه مسألة وثيقة بالإبداع[٢٨].

ومن ثمَّ، فبدلاً من أن تقوم أجهزة التثقيف والإعلام بأداء دور إيجابي في بناء وعي الإنسان، وبدلاً من أن تكون أداة توجيه وترشيد وتحكيم بين الصواب والخطأ، نجد أنَّها تُمارس أشكالاً مباشرة من تغييب العقول بنشر ثقافة الخرافة مما ورد في الموروث الشعبي[٢٩].

إن الخرافة ستظل موجودة، وربما يُتاح لها –حاليًا–المزيد من الانتشار؛ بسبب وسائل الاتصال الحديثة والمتاحة للصغير والكبير، كما يُلاحظ أن كثيرًا من الناس يُشيعون عبر (البريد الكتروني) الكثير من الكلام حول الخرافات، مما لا ينهض على ثبوته دليل، ولا يصمد للتمحيص والتجريب[٣٠].

ولاشك أن هناك تشوهات ألمّت بعقل الإنسان وقّرت المناخ لانتشار التفكير الخرافي، ومن ذلك حين تعرّض بعض أفراد المجتمع لمظالم الاستبداد والإرهاب

السياسي والترهيب الفكري، فاتسموا بالخنوع والسلبية، والانصراف تدريجيًا عن خوض غمار البحث والتنقيب والبناء والإبداع؛ ليقعوا في غمار الفقر والخرافة والجهل، وهنا يفقد الإنسان ثقته بنفسه، ويفقد زمام المبادرة في شئون حياته، ويفقد التحكم في مقدرات عالمه[٣١].

ويمكن إجمالاً تحديد مجموعة من العوامل والأسباب التي تؤدي إلى انتشار التفكير الخرافي بين الناس؛ ولعل من أبرزها: جهل بعض الناس بأحكام الشرع، وتخفي الدجالين في عباءة الدين، والترويج الجيد من قبل بعض الناس لفكر الدجالين، وإيهامهم بمقدرتهم على علاج بعض الأمراض أو حل بعض المشكلات الاجتماعية، فضلاً عن رؤية بعض الناس الذين يلجأون إلى الدجالين أن نجاحهم يرجع إلى قدرات هؤلاء، وليس إلى عوامل أخرى، ثمَّ غياب دور العلماء والمربين والمصلحين في مواجهة هذه الظاهرة، هذا بالإضافة إلى ضعف التشريعات والقوانين التي تُجرّمها سواء من جانب الدجالين أو من يلجأون إليهم.

ومن هنا فلا بُدَّ أن يكون هدف التربية هو بناء الإنسان الذي يتصف (بالعلمية) بحيث يسأل نفسه دائمًا وهو يفكر في مسألة من المسائل: ما أثر هذا على تغيير الأمور إلى ما هو أفضل وأفعل لتقدم المجتمع؟ والذي ينحو نحو الابتكارية، والتجديد، فلا يكون في معظم الأحوال نسخة مقلدة مما سبق، وإنما يضيف ويعدل ويحذف ويطور في ظل معايير يتفق عليها وفي مجالات تحتاج إلى ذلك، كما يتسم نهجه السلوكي والتفكيري (بالعلمية) و (المنطقية) و(العقلانية)، فهو حريص على الأخذ بالأسباب، وعلى أن ينهل بكل ما يستطيع من مصادر المعرفة، يبحث دائمًا عن الحجة والدليل، والتجربة، والاتساق والتآزر، كما يتسم تفكيره بالمرونة التي تجعله على استعداد لأن يتخلى عن فكره إذا قدم الآخرون ما هو أحسن منها، وإذا ظهر بطلانها،... وهكذا[٣٢].

ومما سبق، تبرز مشكلة البحث في محاولة الكشف عن ملامح التصور النبوي لبناء العقل العلمي من منظور تربوي إسلامي، وتتمثل أسئلته فيما يلي:

١. ما مفهوم الخرافة، وأهم مجالاتها؟
٢. ما تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر؟
٣. ما التصور المستمد من السُّنَّة النبوية لتعزيز العقل العلمي في مواجهة انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر؟
٤. كيف يمكن تعزيز هذا التصور النبوي في تربية المسلم المعاصر؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى محاولة الكشف عن المقابل الإيجابي للتفكير الخرافي وهو التفكير العلمي، وذلك من منطلق وبضدها تتمايز الأشياء، ولذا يحاول الكشف عن مفهوم الخرافة، وأهم مجالاتها، مع عرض لأبرز تداعيات انتشار التفكير الخرافي داخل المجتمع المسلم المعاصر، ثمَّ محاولة تقديم ملامح للتصور النبوي لبناء العقل العلمي بما يسهم في تحقيق التربية المنشودة للإنسان المسلم.

أهمية البحث

ترجع أهمية البحث إلى ما يلي:

١- يتناول بالدراسة والتحليل ظاهرة لها صلة مباشرة بالحفاظ على جانب مهم من جوانب الشخصية الإسلامية ألا وهو جانب العقل، والذي هو ضمن المقاصد الأساسية للشريعة الإسلامية التي تسعى إلى الحفاظ عليه، "فمقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول، فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"(٣٣)، ومن ثمَّ يُحاول البحث الحالي الإسهام في بناء عقل الإنسان بنهج علمي، وتنميته وزيادة فاعليته بما يحقق مقاصد الشرع منه.

٢- يعالج ظاهرة تلقى إقبالاً ملحوظًا من فئات متعددة من المجتمع- لاسيما في بلدان العالم الثالث أو حتى بعض الدول التي كان لها نصيب من التقدم والحضارة-، وهي ظاهرة انتشار التفكير الخرافي.

٣- يُمثل دعوة تربوية نبوية لمواجهة التفكير الخرافي، وما شابهه من مظاهر التأخر الثقافي التي ما زالت مترسبة في أذهان بعض أفراد المجتمع في الوقت الحالي.

٤- قد يحثّ هذا البحث المسئولين في وزارة الإعلام على العمل على تطهير المجتمع من الترويج للتفكير الخرافي، وذلك بالتشدد إزاء ما يبثّ عبر وسائل الإعلام المرئية من برامج وأفلام ومسلسلات تشجع على انتشاره.

حدود البحث

يقتصر البحث على بيان بعض التداعيات الاجتماعية والنفسية السلبية لانتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر، ومن ذلك: بُعد الإنسان عن التفكير العلمي، والاعتماد على المصادفة في ترسيخ العديد من المفاهيم والتوجهات، وإصابة الإنسان بالتواكل، وغياب القدرة على تحمل المسئولية، وتكوين الشخصية المتشائمة، والتأثير السلبي على نفسية الناشئ وعملية التطبيع الاجتماعي، فضلاً عن الكشف عمَّا يتضمنه منهج التربية النبوية من أطروحات تفيد في معالجة هذه الظاهرة؛ إذ إنه قد حوى معينًا لا ينضب من الإرشادات والتوجيهات الخاصة ببناء العقل العلمي لمواجهة ظواهر الخرافة، والتي لو استُخدمت ووظّفت داخل مجتمعاتنا، لكانت كفيلة بالقضاء على هذه الظاهرة من جذورها، فضلاً عن توظيف طاقات أفراد مجتمعاتنا المهدرة في مناحي غير هادفة، وجعلها قادرة على القيام بدورها -كما ينبغي- في بناء تلك المجتمعات.

وتتمثل مرجعية السُّنَّة النبوية في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، بما اشتملت عليه من طرق تربوية، ونماذج للتفكير في المواقف الحياتية، وبما تتضمنه من اتخاذ قرارات وسياسات تعزز العقل العلمي.

منهج البحث

يستخدم البحث المنهج الوصفي باعتباره منهجًا مناسبًا لتحقيق هدفها حيث "يهدف إلى رصد الظواهر والممارسات، وجمع الحقائق عنها وتصنيفها، ثمَّ الكشف عن العوامل التي تكرس تلك الظواهر، وتحديد ما قد يوجد بين هذه العوامل من صلات"[٣٤]. ويتحقق ذلك في هذا البحث حيث يهتم بوصف وتحليل بعض التداعيات الاجتماعية السلبية للتفكير الخرافي، ثمَّ محاولة استجلاء سُبُل العلاج التربوي في ضوء السُّنَّة النبوية.

مصطلحات البحث

العقل العلمي

يُعرفه شوقي جلال بأنه ذلك العقل الذي يتبع نهجًا جديدًا في تحصيل المعرفة يقوم على الفحص والتمحيص، والمراجعة والتفسير، والاختبار والتجريب والتحقق[٣٥]، أما نبيل علي فيرى أنَّ العقل الذي يُشكل ويضبط ويوجه رؤية الإنسان، ويتحكم في تفكيره وشعوره وسلوكه ومواقفه بما يمكنه من أن يعيش حياة أفضل تحقق ذاته[٣٦].

ويُعرفه يوسف القرضاوي بأنَّه العقل الذي لا يقبل نتائج بغير مقدمات، ولا يخضع إلا للحجة والبرهان، ولا تحكمه العواطف والظنون في مقام يطلب فيه اليقين المجرد، والعلم المحقق[٣٧]، بينما يرى فؤاد زكريا أنَّه ذلك العقل المنظم فكريًا، والذي ينبني على مجموعة من المبادئ التي نطبقها في كل لحظة دون أن نشعر بها شعورًا واعيًا، مثل مبدأ استحالة تأكيد الشيء ونقيضه في آن واحد، وأن لكل حادث سببًا، وأنَّ من المحال أن يحدث شيء من لا شيء[٣٨].

أما سعيد إسماعيل علي فيرى أنَّه العقل الذي يتسم بالعلمية في كل ما يقول ويفعل؛ والعلمية –بالدرجة الأولى– "منهج في التفكير"، و"طريقة في الحياة" [٣٩].

ويتبنى البحث الحالي المفهوم السابق؛ إذ يُستخلص منه بعض ملامح العقل العلمي، فهو لا يقبل الآراء بصورة ارتجالية، وإنما لا بُدَّ من الدراسة والتحليل،

كما يسهم في ضبط رؤية الإنسان وتعامله مع المواقف المختلفة، ويتبنى مبدأ العلاقة بين الأسباب ومسبباتها، والمقدمات ونتائجها، ويتسم بالتنظيم في طريقة الفهم والتناول للقضايا المختلفة، وأخيرًا يؤكد مبدأ ونهج العلمية في التفكير، وفي طريقة الحياة.

الدراسات السابقة

تمَّ تقسيمها إلى نوعين: الدراسات العربية، والدراسات الأجنبية، وترتيبها زمنيًا من الأقدم إلى الأحدث.

أولاً- الدراسات العربية

١-دراسة التفكير الخرافي: بحث تجريبي (١٩٦٢) [٤٠]

هدفت إلى التعرف على مواطن التفكير الخرافي في مجتمعنا العربي، حتى يتسنى إحلال التفكير العلمي محله، ودراسة مدى انتشار التفكير الخرافي والمعتقدات الخرافية بين مختلف فئات المجتمع وقطاعاته المختلفة، ثمَّ دراسة الوظائف التي يقوم التفكير الخرافي والمعتقدات الخرافية بتحقيقها، ثمَّ محاولة إعداد البرامج التي تستهدف القضاء على هذا النمط من التفكير على أساس تجريبي موضوعي، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: يجب أن يُنظر إلى مشكلة المعتقدات الخرافية والتفكير الخرافي في إطار المجتمع، وفي إطار العلاقات والخبرات الاجتماعية، وإن تحكم التفكير الخرافي والمعتقدات الخرافية في عقول بعض الناس يُعدُّ في حقيقة الأمر من أسباب تعطيل نمو العلم وتطبيق كثير من النتائج التي كشفت عنها البحوث العلمية، وبخاصة في ميدان العلاقات الإنسانية، وإن عملية مواجهة الخرافات عملية شاملة، ينبغي أن تتناول كافة جوانب الحياة، وذلك للكشف عن العوامل والمعتقدات الزائفة التي انتقلت إلينا من التاريخ، والتي تتعارض مع الحقائق العلمية المعروفة اليوم.

٢- دراسة سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي مع دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي (١٩٨٣) [٤١]

هدفت إلى محاولة استعراض التراث السيكولوجي والاجتماعي الأنثربولوجي لظاهرة الخرافة والإيمان بها استعراضًا نقديًا وتحليليًا، فضلاً عن التعرف على مدى انتشار الأفكار الخرافية في المجتمع المصري والمجتمع اللبناني، وخاصة بين طلاب وطالبات المدارس والجامعات، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إن نزعة الإناث أكثر من الذكور نحو الخرافية، وإن الجامعيين أقل خرافة من غير الجامعيين، وإن الطالب المتفوق دراسيًا أو أكاديميًا أقل خرافة من غير المتفوق، وقد يرجع ذلك إلى تأثير التعليم أو الذكاء، كما كشفت المقارنة بين أفراد العينة المصرية واللبنانية عن وجود فروق بين العينتين في كثير من مفردات مقياس الخرافة؛ مما يدل على وجود تأثير للعوامل الثقافية.

٣-دراسة تربية العقل في الإسلام ودورها في مواجهة المظاهر السلبية للتفكير (١٩٩٥)[٤٢]

هدفت إلى التعرف على الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها تربية العقل في الإسلام، والكشف عن المظاهر السلبية في التفكير والتي تُمثل معالم أزمة العقل المعاصر، ثمَّ التعرف على السُبُل والوسائل التي يمكن اتباعها لمواجهة تلك السلبيات من المنظور الإسلامي، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إنَّ ما أصاب العقل المعاصر من أعراض فكرية أدت إلى الوهن الحضاري يؤكد وجود أزمة فكرية تبرز بشكل عام في تعطيل طاقات العقل وعجزه عن تحديد منهجه، وإذا كان الخلل في المنهج قائمًا فلابد أن يستمر الخلل في الإنسان، ومن المظاهر السلبية في التفكير والتي أصابت العقل المعاصر: التقليد، والجمود الفكري، والتعصب للرأي، والجهل وقصور الفهم، واضطراب الأولويات، وكلها تعد آفات فكرية أدت إلى تعطيل العقل وأبعدته في منهجية تفكيره

عن المنهج العلمي، وحرر الإسلام العقل من كل ما يعطل عمله أو يضلل حكمه، ومن ثمَّ ربَّاه على التفكير المستقل المتحرر من الأهواء الذاتية أو الظنون أو كل ما هو غير علمي.

٤- دراسة التفكير الخرافي وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب مدارس الثانوية الفنية (١٩٩٨)[٤٣]

هدفت إلى التعرف على مدى انتشار الأفكار الخرافية بين طلاب وطالبات مدارس الثانوية الفنية، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: يرتبط التفكير الخرافي ارتباطًا موجبًا ببعض متغيرات الشخصية مثل حالة وسمة القلق ووجهة الضبط الخارجية ومفهوم الذات لدى عينة من طلاب التعليم الفني، ولا توجد فروقًا ذات دلالة إحصائية بين بنات وبنين مدارس الثانوية الفنية على مقياس الأفكار الخرافية، وهناك ارتباط موجب بين التفكير الخرافي وحالة وسمة القلق ووجهة الضبط الخارجية والعصابية والذهانية وسوء التوافق.

٥- دراسة القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية (٢٠٠٣)[٤٤]

هدفت إلى تحليل بعض القيم والعادات الاجتماعية في بعض المناطق الريفية بجمهورية مصر العربية، مع محاولة الكشف عن أسباب هذه العادات، وتقديم سُبُل العلاج المناسبة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن مصدر القيم والعادات الاجتماعية هو ثقافة المجتمع الذي تنبثقان منه، وإنَّ التزام الفرد بقيم جماعته وعاداتها الاجتماعية يكون على أشده في الجماعات البدائية والمتأخرة والريفية والجماعات المنعزلة بصفة عامة؛ حيث إن التوافق هو الإطار الأساسي السائد في تلك الجماعات، وإن كثيرًا من قيم الريفيين وعاداتهم المتعلقة بتكوين الأسرة لا بُدَّ أن تتغير؛ لأنها تعتمد على فكر الدجالين، وهي قيم يجب أن تزول من تلك المجتمعات.

٦- دراسة أهمية التثقيف العلمي للطفل (٢٠٠٣م) [٤٥]

هدفت إلى بيان أهمية التثقيف العلمي للطفل وتنمية التفكير العلمي لديه، وأهم الفوائد التي تعود عليه من ذلك، خاصةً إذا كان تثقيفًا يجمع بين القراءتين: قراءة النص، وقراءة الكون، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن التربية لا بُدَّ أن تتمكن من إعداد إنسان المستقبل لمواجهة التحديات المجتمعية والعالمية بأسلوب علمي يتخذ من الإيمان بعقيدة التوحيد ركيزةً، ومن العلم ومناهجه وأساليبه أساسًا لإنتاج المعرفة الطبيعية بدلاً من التبعية المتمثلة في استهلاك المعرفة وتقنياتها، كذلك لا بُدَّ أن يستقر في أذهان المتخصصين في رعاية الطفل وتربيته وتعليمه أن كلاّ من عالم الغيب وعالم الشهادة مترابطان ترابط تكامل؛ لأن المعرفة لا تتم في أحدهما إلا من خلال المعرفة في الثاني.

٧- دراسة "الدين والخرافة: علاقة انسجام أم تضاد" (٢٠١١م) [٤٦]

هدفت إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين الدين والخرافة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت إلى عدة نتائج منها: إن دعوة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية تنطلق من مبدأ محاربة الخرافة والقضاء على جذورها مهما كانت أبعادها وثقلها؛ لأنها تعمل على أسر العقل والحد من إحدى مميزاته الطبيعية، وهي التدبر والتفكر العقلي، وإن معالجة القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية للخرافة اعتمدت على أسلوبين: منهج تنظيمي؛ إذ نظما عقيدة الناس بشكل إجرائي تناول فيها جميع الأبعاد، بحيث لا تقبل الزيادة أو النقصان، ومنهج النقد والرفض الصريح؛ إذ ردّ القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية -وبشكل لا يترك للشك أو الاحتمال مكانًا- كل المعتقدات والاعتقادات الخرافية.

ثانيًا- الدراسات الأجنبية

١- دراسة مسح الخرافة في إنجلترا (٢٠٠٣)[٤٧]

هدفت إلى محاولة رصد ظاهرة الخرافة في المجتمع البريطاني، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى نتائج منها: لا يوجد أية إشارات تدل على

أن معدلات الاعتقاد بالأفكار الخرافية في بريطانيا سوف تنخفض في المستقبل القريب، فهي تزداد بصورة مذهلة، حيث تحتل اسكتلندا المرتبة الأولى، ثمَّ بريطانيا، وويلز، وشمال أيرلندا، ويميل الأشخاص الخرافيون إلى القلق بشأن الحياة بصورة عامة، كما أن لديهم رغبة قوية في التحكم والسيطرة، فضلاً عن انخفاض التسامح لديهم، وزيادة الخرافة بين النساء عن الرجال، وبين الشباب عن الكبار، ومن أهم المعتقدات الخرافية السائدة ما يلي: نسبة ٧٤% يؤمنون بمسك الخشب، و٦٥% بتشبيك الأصابع، و٥٠% يتجنبون المرور أسفل السلالم، و٣٩% يتشاءمون من المرايا المكسورة، و ٢٦% يتشاءمون من الرقم ١٣.

٢- دراسة قياس المعتقدات الخرافية: تأثير تعويذات الحظ على أداء الأعمال؟ (٢٠٠٤)[٤٨]

هدفت إلى محاولة تطوير النظريات المرتبطة بنشأة المعتقدات الخرافية ووظيفتها على أساس مدى الارتباط النفسي بهذه المعتقدات، وذلك من خلال قياس المعتقدات الخرافية باستخدام مقياس الاعتقاد فوق الطبيعي، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى نتائج منها: وجود ارتباط واضح الدلالة بين انتشار الفكر الخرافي ومدى الاقتناع بجدوى الحياة وأهميتها، وأنَّ البُعد النفسي للمعتقدات الخرافية له تأثير على انتشارها سواء كانت معتقدات إيجابية أو سلبية.

٣- دراسة العولمة وانتشار المعتقدات الخرافية(٢٠٠٦) [٤٩]

هدفت إلي التعرف على مدى تأثير الاختلاف في الجنس، والتعليم الجامعي (الكليات التي تخرج منها الطلاب) على الاعتقادات الخرافية لدى الطلاب الخريجين، كذلك تم دراسة تأثير الاختلاف بين بيئة الطلاب الحضرية والريفية على انتشار المعتقدات الخرافية، واقتصرت العينة على ١٨٠ طالبًا وطالبة من خريجي الكليات المختلفة، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى نتائج منها: إن ٤٨% من فقرات الاستبانة تم الاستجابة لها إيجابيًا، مما يشير إلي أن انتشار المعتقدات الخرافية بين الطلاب، وأنَّ الاختلاف بين الكليات ليس له أي

تأثير على انتشار المعتقدات الخرافية، وأنَّ للاختلاف في الجنس تأثير على مدى الاعتقاد في الخرافات وانتشارها، فالنساء أكثر اعتقادًا بها من الرجال.

٤- دراسة المعتقدات غير الطبيعية والسحرية والخرافية: نموذج متكامل (٢٠٠٧) [٥٠]

هدفت إلي تقديم إطار عمل مفاهيمي يرجع الاعتقاد في أمور مثل: الخرافات، والشعوذة، والأفكار الغير معقولة إلي القصور في المعرفة المتعلقة بالنواحي الجسدية والنفسية، والظواهر البيولوجية، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى نتائج منها: إنَّ انتشار المعتقدات الخرافية يُمثل تحديًا كبيرًا لم يستطع المجتمع الغربي مواجهته، والحد من انتشاره حتى الآن، فما زال ٤٠% من المجتمع الأمريكي يؤمن بتأثير الخرافة على مسار حياة الفرد، وإن الأشخاص المعتقدين بالخرافات يتقبلون الأمور التي تتخطى الأمور الطبيعية أكثر من الأشخاص القادرين على إعمال العقل في الأمور، واستخدام طرق التفكير التحليلي، ولديهم ثبات انفعالي.

٥- دراسة تأثير الخرافة على أداء المهام المتتابعة وآليات التنفيذ(٢٠٠٨) [٥١]

هدفت إلى التعرف على تأثير الخرافة على أداء الوظائف والمهام اللاحقة المختلفة، وخاصة المعرفية منها، وذلك لدى عينة من طلاب جامعة كولجين بألمانيا، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى نتائج منها: تزداد الأفكار الخرافية بين عينة طلاب الدراسة بجامعة كولجين، مما دفع بعضهم إلى الاعتقاد بشدة تأثيرها على مسار حياتهم، وأنَّ للخرافات تأثير واضح على كل من نفسية وسلوك المتعلمين، وما يرتبط بذلك من أدائهم للمهام والأعمال المختلفة، وترتبط بعض الأفكار الخرافية- لدى طلاب عينة الدراسة- بمفهوم الفأل الحسن، ومن ثمَّ يكون بمثابة محفز لأداء العمل، وما يترتب عليه من تحسين الأداء.

٦- دراسة تأثير المكونات الإدراكية وغير الإدراكية للمعتقدات الخرافية على الحكم واتخاذ القرار(٢٠٠٨) [٥٢]

هدفت إلى معرفة تأثير المعتقدات الخرافية وغير العقلانية على سلوك المستهلك أثناء عملية شراء السلع المختلفة، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى عدة نتائج من أهمها: للمعتقدات الخرافية تأثير شديد على عملية الحكم واتخاذ القرار بشأن شراء السلع المختلفة، ولا يقتصر تأثير المعتقدات الخرافية على عملية الاقتناع بالمنتج، وإنما يمتد تأثيره إلى عملية شرائه، كما تظهر تداعيات هذه الآثار عندما تتاح للمعتقدات الخرافية فرصة العمل بطريقة غير شعورية.

٧- دراسة كيف تُطور الخرافة من أداء العمل؟(٢٠١٠) [٥٣]

هدفت الدراسة إلى مناقشة مزايا المعتقدات الخرافية المرتبطة بتحسين أداء الفرد، ومعرفة تأثيراتها النفسية على إنجاز الأعمال والمهام المختلفة، واستخدمت الدراسة المنهج التجريبي، وتوصلت إلى عدة نتائج من أهمها: يعتمد الكثير من الأشخاص على الممارسات والأفكار الخرافية في كثير من الأعمال اليومية الروتينية لجلب الفأل الحسن، وأنَّ تفعيل الأفكار والمعتقدات الخرافية الإيجابية يزيد من ثقة وكفاءة الأشخاص في التحكم والسيطرة على المهام والأعمال المختلفة، ومن ثمَّ يتحسن الأداء.

التعقيب على الدراسات السابقة

بعد عرض الدراسات السابقة، ومن خلال الموازنة بين هذه الدراسات والبحث الحالي، يلاحظ ما يلي:

أولاً -أوجه استفادة البحث الحالي من الدراسات السابقة

تمثلت أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة فيما يلي:

أ- الاعتماد على نتائج الدراسات السابقة في تحديد ملامح مشكلة البحث الحالي وبناء إطاره النظري، وفي صياغة التصور المقترح.

ب- التعرف على أهم نماذج الخرافة ومظاهرها المنتشرة في الغرب ومدى الارتباط بينها وبين المعتقدات الخرافية السائدة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

ج- الاستفادة من خلال ما تمَّ التلميح إليه من بعض الآثار الاجتماعية السلبية للخرافة.

ثانيًا- أوجه الاختلاف بين البحث الحالي والدراسات السابقة

تناول البحث الحالي موضوع التصور النبوي لبناء العقل العلمي: منظور تربوي إسلامي، وهو موضوع يختلف في الشكل والمضمون عن تناول الدراسات السابقة له -مع أهميتها وقيمتها-، وذلك كما يلي:

١- تناول بعض التداعيات الاجتماعية والنفسية لانتشار التفكير الخرافي - وهو ما لم يتم تناوله بصورة تفصيلية وتأصيلية على حد علم الباحث-، إذ ما تم كان من خلال إشارات في معرض الحديث عن تأثير الخرافة .

٢- ركز على التأثيرات التربوية للتداعيات الاجتماعية السلبية لفكر الخرافة، في حين ركزت دراسات أخرى على كيفية التصدي لمواجهة ظاهرة السحر والشعوذة، باعتبارهما من أنماط التفكير الخرافي.

٣- عرضت الأدبيات التربوية الأجنبية لنماذج من المعتقدات الخرافية السائدة في مجتمعاتها، دون أن تحاول تقديم سُبُل العلاج المناسبة لمواجهتها، بل إن بعض هذه الدراسات قد اتخذت من بعض هذه المعتقدات الدالة على الفأل الحسن سبيلاً لتحسين أداء الأعمال المختلفة، بينما حاول البحث

الحالي رصد التداعيات، مع طرح سُبُل العلاج المناسبة من منظور تربوي نبوي.

٤- حاول تقديم ملامح تصور تربوي مقترح لمواجهة تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر، وذلك من خلال ما حوته السُّنَّة النبوية من قواعد تسهم في بناء العقل العلمي.

خطوات البحث

يسير البحث –بحكم طبيعته وأهدافه– وفقًا للخطوات التالية:

المبحث الأول: مفهوم الخرافة وأهم مجالاتها.

المبحث الثاني: تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر.

المبحث الثالث: التصور المستمد من السُّنَّة النبوية لتعزيز العقل العلمي في مواجهة تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر.

المبحث الرابع: كيفية تعزيز التصور النبوي في تربية المسلم المعاصر.

وسيتم عرض المباحث السابقة كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الخرافة وأهم مجالاتها

١- مفهوم الخرافة

الخرافة لغة: من خَرِفَ خَرَفًا: أي: فسد عَقلُه[٥٤]، واصطلاحًا: يُعرفها (**Huque & Chowdury**) بكونها: أفكار تشمل الخوف غير المنطقي من شيء غير معروف أو غامض، أو الاعتقاد أو التصور البعيد عن العقل أو المنطق أو المعرفة، أو التشاؤم من ظهور شيء أو حدث معين[٥٥]، ويتناولها المعجم الفلسفي باعتبارها: "معتقد لا يعتمد على أساس من الواقع ولا من الدين، مثل: الأقوال أو الأفعال أو الأعداد التي يظن أنها تجلب السعد أو النحس"[٥٦]، بينما يعرفها لطفي بركات في موسوعته التربوية بـ: "أنها نسق وفكرة تتناقض مع الواقع الموضوعي؛ لأنها ترد الأسباب إلى غير مسبباتها، وترتكز على أوهام وخيالات، وهي تؤثر على

الشخص الجاهل أكثر من الشخص المتعلم، ويرجع شيوعها إلى افتقار الجماعة الإنسانية إلى قوى تربوية واعية وإلى أساليب التكنولوجيا المتطورة التي تواجه الأخطار والكوارث التي قد تتعرض لها هذه الجماعة أو تلك" [٥٧]، ومن وجهة نظر عبد الكريم بكار فهي: أفكار وممارسات وعادات لا تستند إلى تسويغ عقلي، ولا تخضع لأي مفهوم علمي لا على مستوى النظرية، ولا على مستوى التطبيق؛ ومن ثمَّ فإنها بعيدة عن المنطق، وعن الموضوعية[٥٨].

أما يوسف ميخائيل فيحدد خمسة معاني لها؛ الأول: يتعلق بالواقع الخارجي، وبالصدق الذي يشتمل عليه الكلام أو عدم الصدق، والثاني: يركز على دراسة علاقة الخرافة بالأنثروبولوجيا؛ بمعنى دراسة الثقافة لدى المجتمعات الإنسانية، وبخاصة تلك المجتمعات القديمة التي تتمثل بصفة خاصة في القبائل البدائية، والتي كان للعناصر الوجدانية الانفعالية الغلبة على الفكر الواقعي الموضوعي، والثالث: ينصب على الواقع الاجتماعي لمجتمع معين يحيا الإنسان في إطاره ويتعامل معه، ويقيم علاقاته به، والرابع: تُفسر به الحضارة كل ما يحيط بها، بل وتدير حوله أنشطتها جاعلة جميع أهدافها المتباينة في الحياة مجرد وسيلة تحقق عن طريقها مصلحة ذلك المبدأ الرئيس الذي تلتف حوله اهتمامات الحضارة، ففي الحضارات المادية، والتي لا تحتفل إلا بما يتعلق بالأشياء المحسوسة، فإن التفكير المجرد وما يتعلق به من أفكار ونظريات، وأيضًا ما يتعلق بالروحانيات، إنما هو مجرد خرافة لا ينبغي الاحتفال بها، وفي الحضارات التي تتخذ العلم محورًا لها، فإن كل ما عدا النظريات العلمية مجرد خرافة، والخامس: يهتم بالجانب النفسي؛ فالإنسان في جوهر كيانه كائن يعتمد في أنشطته، وفيما يوجه سلوكه ويصبغ كيانه على ما ينشط لديه من وجدان وإحساس، وما يسيطر عليه من رغبات ومطامع وآمال ترتبط أساسًا بما يشبع أهواءه[٥٩].

ويُعرفها نجيب إسكندر ورشدي فام بأنها: "اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع الموضوعي بل تتعارض معه، ولكن ليس كل اعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع

الموضوعي تُعتبر من الناحية العلمية خرافة، ولكن يشترط في هذا الاعتقاد أن يكون له استمرار؛ فهو ليس مجرد تفسير عارض لظاهرة عرضية، بل له وظيفة في حياة من يؤمنون به ويستخدمونه في مواجهة بعض المواقف وفي حل بعض المشكلات الخاصة في الحياة"، وبعبارة أخرى فالخرافة: "تفسير يزود من يؤمن به بوسيلة ما لمواجهة مشكلة لا يعرف صاحبها طريقًا أفضل منها لمواجهتها"(٦٠).

ويتفق عبد الرحمن عيسوي مع المفهوم السابق للخرافة، إذ يرى –أيضًا– أنها اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع، ويؤكد أن الخرافة كظاهرة اجتماعية ليست بعيدة عن الواقع فحسب؛ وإنما يشترط أن تكون مستمرة أو دائمة، كما أنها تمثل موقفًا ثابتًا في حياة من يؤمنون بها؛ يفسرون الأحداث تبعًا لها، ويحلون مشاكل الحياة التي تجابههم، وقد يلجأ إليها الفرد لتفسير بعض المواقف عندما لا يجد أسلوبًا آخر أفضل منها(٦١).

ويقدم السيد حيدر تعريفًا توافقيًا للخرافة بين سائر الأديان –على حد تعبيره–: فـ"الخرافة هي التخوف الاعتباطي من بعض العناصر، وافتعال علاقة بين ظواهر وأخرى لا تحظى بتأييد العلم والعقل، ولا حتى الدين"(٦٢).

٢- أهم مجالات الخرافة

يتطلب البحث العلمي في موضوع التفكير الخرافي نوعًا من أنواع التصنيف يُيسر دراسة الموضوع وتفسير النتائج المتعددة تفسيرًا نحو الإيجاز والتكامل، وفضلاً عن ذلك فإن تصنيف الخرافات بحسب نوعيتها أو فحواها يُعتبر خطوة بالغة الأهمية نحو دراسة بعض المشكلات الاجتماعية الأساسية في ثقافة المجتمع.

وفي هذا الصدد، فقد رصدت دراسة (نجيب إسكندر ورشدي فام) أهم فئات الخرافة في المحاور التالية: (الزواج، والحمل والولادة، وإنجاب الذكور، والتقليل من مكانة المرأة، والتغذية، والصحة والمرض، والضبط الاجتماعي، والفأل والتنبؤ بالأحداث المستقبلية، وتخفيف حدة أثر ضار، والأمل في تحقيق أهداف أو

منافع خيالية، والظواهر الطبيعية الغريبة، وظاهرة الموت، والسحر وعمل الأحجبة والتعاويذ، والضيوف والأصدقاء، والخلافات بين الخصوم، واكتساب مهارات ذات مغزى اجتماعي)[٦٣].

أما دراسة (يوسف ميخائيل) فقد رصدت مظاهر الخرافة وجوانبها بصورة أكثر تحديدًا، وذلك في فئات مجملة يندرج تحتها عناصر تفصيلية، وذلك في سبعة محاور كما يلي: (خرافات اجتماعية، وخرافات سياسية، وخرافات دينية، وخرافات أنثروبولوجية، وخرافات جنسية، وخرافات نفسية، وخرافات تربوية) [٦٤].

بينما حددت دراسة (سناء محمد سليمان) مجالات الخرافة في ستة مجالات هي: مجال الحياة الاجتماعية، ومجال الغيبيات، ومجال الصحة والمرض، ومجال التفاؤل والتشاؤم، ومجال الخطبة والزواج، ومجال الحمل والولادة[٦٥].

خلاصة المبحث الأول

عالج هذا المبحث أهم مفاهيم الخرافة من رؤى واتجاهات مختلفة، كما تناول أهم مجالات الخرافة، ويمكن استخلاص مجموعة من الملاحظات من العرض السابق كما يلي:

أ- تطلق الخرافة على الشيء الذي لا يمتلك الإنسان تفسيرًا عقلانيًا له، أو على علاقة بين أمرين أو ظاهرتين أو أكثر لا صلة بينهما أساسًا.

ب- تعمل الخرافة على إخضاع العقل؛ بحيث يقبل أشياء تتناقض وأبسط مقتضيات التفكير العقلي ومقتضيات الفطرة.

ج- تأخذ الخرافة جذورها من ضعف التفكير العقلي، والتحليل الصحيح والعميق للأمور؛ فهي لا تستند إلى أي تبرير عقلي أو منطق علمي، كما ترتبط بالسياق الثقافي والاجتماعي السائد في مجتمع ما.

د- تستقي الخرافة وجودها واستمرارها من الأوهام التي يحتفظ بها المجتمع بسبب ما عاناه ويُعانيه من تخلف سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي وديني شامل.

هـ- تشمل الخرافة مجالات متعددة في حياة الإنسان، وإن كانت أكثر وضوحًا وانتشارًا في المجال الاجتماعي.

المبحث الثاني: تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر

١- بُعد الإنسان عن التفكير العلمي

يُعدُّ التفكير العلمي تفكيرًا يقل فيه عنصر الخداع أو الخطأ، والإنسان يُخْدَع في تفكيره أو يخطئ فيه إذا لم يستقم في حركته كإنسان له ميزة الإرادة والإيمان. ومن الطبيعي أن يتجه الإنسان في مسار عجزه نحو الخرافة، ولا يملك القدرة على شيء من دفعها؛ لأن نفسيته وقدراته أصابها الكثير من صور الخلل.

ولا شك في أن تصديق بعض الناس لمثل هذه الخرافات* يدل على البُعد عن التفكير العلمي، وبالتالي الانسياق وراء ما لا نصيب له من الحقيقة؛ "إذ إن التفكير الخرافي هو الذي يجهل السُنن والقوانين، ويلغي دور الإنسان في اكتشافها، ويعفيه من تنظيم حياته طبقًا لها، ويقتصر على مشاهدة آثار عملها وانتظار معجزات إلهية تنعم عليه بآثارها النافعة وتنجيه من آثارها السيئة"(٦٦).

وفضلاً عن ذلك، فالتفكير الخرافي مجافاة للحقيقة، ونسبة الأمور إلى غير مسبباتها، ثمَّ إن الشخص الذي يبني سلوكه واختياره للأمور ونظرته إلى المستقبل على أساس واهٍ من الأوهام، جدير أن يخطئ، وأن تصرفه هذه الأوهام عن مجالات يكون فيها الخير، وتسوقه إلى جوانب لا تتفق معه، ولا تصلح له، ويكون فيها هلاكه، كما أنَّ التفكير الخرافي يكون مصدرًا للغم عندما تستولي الأوهام على عقله، فتؤرقه وتشغل باله، وتدفعه نحو الخطأ، وتصرفه عن الصواب، وقد يتضخم هذا الأثر حتى يصير مرضًا عقليًا يجعل صاحبه في عداد المجانين، أو يدفعه إلى

*** من تلك الخرافات: أن منهم من يعلقون السحالي والتماسيح على أبواب دورهم، ومنهم من يرسمون الأكف على جدرانها، ومنهم من يعلقون الأحجبة والتعاويذ في أعناقهم ويدسونها في فرشهم وبين طيات ثيابهم، ومنهم من لا يزالون يعالجون الأمراض بالزار وحرق البخور، ومنهم من يضرب المندل، ويقرأ الفنجان والكف.**

ارتكاب الجرائم، كما يستغل الدجالون ميل بعض الناس إلى التفكير الخرافي وسذاجتهم فيبتزون أموالهم ويكلفونهم ما لا طاقة لهم به من الأعمال** لكي يصرفوا أذهانهم عن السخافات التي يكلفونهم بها، وعن التفكير في أمر الدجالين أنفسهم، ويوجهوا عقولهم نحو التفكير في مطالب العلاج الخرافي المزعوم (٦٧).

ومن جهة أخرى، يعتقد بعض الناس أن الدجالين قد يقولون أحيانًا أمورًا، تحدث في المستقبل وتكون صدقًا، وهذا إذا حدث أحيانًا يكون من باب الإيهام والتدليس، فهم يقولون للناس كلامًا عامًا، يحتمل أكثر من معنى، وكل إنسان يُفسره على ما يوافق أحواله، أما صدقهم في بعض الأمور الخاصة، فإنه يرجع إما إلى التنبؤ والفراسة، وإما إلى ما يُوسوس إليه الشيطان المتلبس بهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**سَأَلَ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم نَاسٌ عَنْ الْكُهَّانِ فَقَالَ: «لَيْسَ بِشَيْءٍ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنْ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا مِنْ الْجِنِّيِّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**»(٦٨)، وقد يستعين العراف أو الكاهن بحيلة ما، أو شخص ما يُخبره بخبر معين، فإذا سُئل العراف عنه أخبر به، وكأنه يقرأ الغيب.

ولذا، فربما رأى بعض الناس نتائج إيجابية لترددهم على الدجالين من فتح أبواب الرزق أو منع ضرر عليهم أو الانتقام من عدو لهم أو كشف أسرار يحتاجونها حصلت على يديهم لم تحصل لغيرهم، فيعتقدون أن هذا النجاح مرتبط بهذا الدجال.

**** من الدجالين من يطلب من مرضاه أن يصطاد سبعة خفافيش أو يستحضر عددًا من القطط السوداء التي لا تشوبها علامة البياض، أو يحصل على أظافر عدوه أو قطع من ثيابه أو غير ذلك من الأعمال العسيرة التي تجعل صاحبها يزداد إيمانًا بقيمة العمل التافه الذي يقوم به بعد أن يبذل فيه جهدًا كبيرًا، أو يكلفه ثمنًا باهظًا.**

وتؤكد السُّنَّة النبوية – في أحاديث كثيرة– أنَّ الله عز وجل قدّر كل شيء، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ**»(٦٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه: « **... وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٧٠).

وإن الإيمان بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**...وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ...**» (٧١) لا يعني الاستسلام، وإنما يعطي نوعًا من الإيجابية حتى لا تمتد العطالة والإصابة إلى المستقبل؛ إنه لا يلغي الفاعلية القائمة علي تعاطي السُنن أصلاً للتوصل إلى النتائج المطلوبة، وإنما يوفر الطاقة، ويحول دون العجز والسقوط(٧٢).

٢– الاعتماد على المصادفة في ترسيخ العديد من المفاهيم والتوجهات

والمصادفة بالنسبة لفعل الإنسان أمر واقع؛ لأنه لا يعلم الغيب، فقد يصادفه الشيء من غير شعور به، ومن غير مقدمات له، ولا توقع له، ولكن بالنسبة لفعل الله فلا يقع هذا، فإنَّ كل شيء عنده معلوم ومحدد، فلا تقع الأشياء بالنسبة إليه صدفة أبدًا(٧٣).

فقد تتدخل –مثلاً– بعض العوامل التي تُحدثها الصدفة؛ فيقرن بعض الأفراد بين ما ترمز إليه هذه الصدفة، سواء كان الرمز حسيًا كأن يشعر بحاجته إلى (حك راحة يده اليمنى)، فيتوقع أنه سوف يأتيه المال وسوف يقبضه بهذه اليد، الذي يشعر من خلالها بحاجته إلى حكها، والمدهش في أمر هؤلاء أن يحدث لهم ما توقعوه، ويتصادف في شعوره نفسه بحكة اليد أنَّ هناك من يدفع له نقودًا فعلاً؛ فيقترن هذا الشعور بموقف معين أو توقع محدد، ويثبت هذا التوقع، وكذلك قد يتضمن هذا الشعور مغزى آخر، فهناك من يرى أنَّ هذا الشعور المصاحب، لما

يستشعره الفرد من حاجته إلى حك راحة يده اليمنى هو توقعه أن يُسلم على شخص آت من السفر أو شخص غائب سوف يراه، وقد تحدث المصادفة ويأتي شخص طال انتظاره، أو عودة مسافر يتطلع الإنسان إلى رؤيته، وتكون المصادفة مذهلة؛ لأن الشخص الذي شعر بهذا الشعور أعلن عن أحاسيسه، وناقش توقعاته سواء أمام بعض الحاضرين أو على أقل تقدير بينه وبين نفسه(٧٤)!

وهنا لا بُدَّ أنَّ يعلم الإنسان أنَّ الله قد يبتليه في بعض الأحيان، فيحدث هذا الشيء الذي يعتقده، وذلك لامتحانه واختبار إيمانه، وهذا كله من القدر.

وهناك –أيضًا– بعض المصادفات التي تتعلق ببعض الحركات أو التصرفات، التي يُضفي عليها بعض الأشخاص دلالات معينة***، إلا أنَّ هذه الحالات قد يتطرف أصحابها في أمر ترسيخ عقيدتهم بها، والتذرع بما تحمله من رموز، والإيمان العميق بما ستسفر عنه من نتائج، فتصبح علامات لخير قادم أو تهديدات لشر مستطير(٧٥).

وفضلاً عن ذلك، فهناك العديد من الصور والأساليب والمفاهيم والتوجهات –التي تقدمها وسائل الإعلام فيما يتعلق بفكرة الصدفة– التي تؤثر سلبًا في شخصية الإنسان، ومن ذلك: أن الصدفة تلعب دورًا كبيرًا في توجيه مسار الأمور في كثير من الأفلام والمسلسلات الدرامية، ولا شك أنَّ هذا يبعد التفكير عن النهج العلمي الذي يقوم على التسلسل المنطقي، والرابطة السببية، وحُسن التخطيط والتدبير والقصدية، وبالتالي يغرس في النفوس روحًا سلبية تجعل الإنسان يظل منتظرًا إلى أن يأتيه الحل "بالصدفة"، وهذا سبيل سيئ في تنمية التفكير(٧٦).

***** فإذا نبشت القطة السجادة بمخالبها، فهذه علامة من علامات التنبيه إلى أن هناك ضيوفًا سوف يحضرون، وأن العين اليمنى إذا ارتمشت، فإن ذلك يُبشر بالخير، على عكس العين اليسرى فإن رفتها نذير شؤم.**

والإنسان العاقل يؤمن بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيئته، وأنَّه لا يقع شيء في الوجود إلا بعد علم الله به وتقديره، وأنَّه عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره، وأنَّ حكمته تابعة لمشيئته؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن(٧٧).

٣- إصابة الإنسان بالتواكل

ليس القعود عن الأسباب وعدم السعي من التوكل في شيء، وإنما هو اتكال أو تواكل حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهى عن الأسباب المؤدية إليه، فقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: «**يَا مُعَاذُ! تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»(٧٨)، وهنا يضع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة تربوية هي أن كل ما يؤدي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنة للاتكال أو التواكل ليس من التوكل في شيء(٧٩).

ومن الواضح أنَّ اتجاه الخرافة يقوم على فهم خاطئ للقضاء والقدر، ومن شأنه أن يعطل حركة الإنسان وطاقاته المختلفة، ويجعله يميل إلى التواكل في كل شيء(٨٠)، وقد توصلت نتائج دراسة (نجيب إسكندر ورشدي فام) أن مواجهة الخرافة في المجتمع عملية تستهدف التوعية، والكشف عن الأفكار القائمة على الخوف أو التواكل، واقتلاعها من جذورها(٨١).

ويرجع انتشار داء التواكل لسوء فهم مفهوم التوكل الذي نصت عليه السُّنَّة النبوية، وسوء استخدامه له هروبًا أو عجزًا أو توارثًا، كما أنَّ مفهوم التواكل جعل عديدًا من جمهور المسلمين لا يملكون مهارة التخطيط، ولا يُحسنون ترتيب الأولويات وتحديدها، ولا يربطون النتائج بالمقدمات (٨٢)، وأدى ذلك إلى خلل في مفهوم التوكل، فصار تبريرًا للارتجالية والفوضى وعدم الإعداد وإضاعة الوقت والمقدرات، بعد أن كان ثباتًا وإصرارًا بعد استكمال الاستعداد والتخطيط(٨٣).

كما يكمن سبب تأكيد قضية التعليل وربط الأسباب بالنتائج في أن العقل الخرافي يسود كثيرًا في مجتمعنا؛ كمن يقول لك: "فلان نجح بتفوق بضربة حظ، وهو شخص محظوظ"، فهذا الشخص ذو العقل الخرافي لم يدرك الجهد الذي بذله ذلك الشخص المتفوق؛ لذلك يقول: "إنه محظوظ"(٨٤).

ومن آثار التواكل السلبية هدر طاقة الإنسان فيما لا ينفع حيث يستهلك في ندب سوء حظه طاقة تفوق ما يستهلكه في معالجة سوء حظه، وعندما تبلغ التواكلية حدًا كهذا تؤدي بصاحبها إلى التهرب؛ فعادة التواكل تقوي في نفسه عادة التهرب والانسحاب، وهو وضع أسهل وآمن من وضع المجابهة(٨٥).

وليس في العجز والقعود عن طلب الأسباب والاعتماد على الخرافة ما يؤهل لاستحقاق أي مردود في عالم حياة الإنسان، وليس في شيء من أوهام الخرافة أي معنى من معاني التوكل والسعي وإتباع السُنن الكونية التي لا بديل عنها في إدارة شئون الحياة؛ فالعجز والكسل والقعود عن طلب السُنن والأسباب؛ هو التواكل والانحراف عن طريق الإسلام، ولا يزيد الإنسان إلا انحرافًا وضياعًا وشقاءً(٨٦).

٤- غياب القدرة على تحمل المسئولية

لا يحق لأي إنسان أن يتعلل بالركون إلى الأسباب المتوهَّمة التي تحدُّ من انطلاقه وتعوق تقدُّمه، أو بالقَضَاء والقَدَر لتبرير ما يصدر عنه من انحراف، بحجة أنَّ هذه أمور مكتوبة عليه في الأزل لا يستطيع أن يتمرد عليها، فالمسئولية قائمة في جميع الأحوال، وما كتبه الله على الإنسان في الأزل ما هو إلا تسجيل لما سيصدر عن كل فرد منا بإرادته الحرة وباختياره الذي لا إكراه فيه، وإذا كان الأمر كذلك، فلا يجوز للإنسان أن يبني حياته على خرافات تناقلها الناس جيلاً بعد جيل، أو يربط مصيره بغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل(٨٧).

فالمسئولية قبل كل شيء استعداد فطري، وقدرة الإنسان على أن يلزم نفسه أولاً، وأن يفي بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة، فإذا أُخذت المسئولية بهذا

المعنى الرحب، فإنها تكون من السمات المميزة التي يأخذها الإنسان من جوهره ذاته[٨٨]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** ...»[٨٩].

فتربية الإحساس بالمسئولية والشعور المستمر بها من الركائز التي اعتمد عليها المنهج النبوي في التربية؛ وذلك لما للإحساس بالمسئولية وغرسها في النفوس وممارستها في واقع الحياة من أثر كبير في تربية نفوس الأفراد والمجتمعات، ويمكن أن نعرف الإنسان المسلم بأنه شخص مسئول يتحمل بصفة مستمرة وبوعيه الكامل نتائج أعماله، وعلى مدى التزامه بمسئولياته أو عدم التزامه بها يكون جزاؤه عند الله[٩٠]؛ وهذه هي التبعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه؛ إذ لا يُعقل بعد أن يهيئ الله له كل الإمكانات، ويكرمه ويسخر له كثيرًا من مخلوقاته أن يكون غير مسئول.

ومن ثمَّ، فلا محلَّ لتعليق تصرُّفات الإنسان على أسباب متوهَّمة، لا سند لها من العقل أو المنطق، أو العلم أو الدين، ولا تليق بكرامته، وهو المُطالَب بالتجديد المستمر لحركة الحياة والتغيير إلى الأفضل، والاعتقاد الخاطئ في تأثير الأسباب المتوهَّمة يعني أن الإنسان لا إرادة له ولا حرية، وهذا بدوره يؤدي إلى سدِّ جميع منافذ الأمل في حياته، فلا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة، أو يتطور في معارفه، وهذا يعني توقُّف الحياة عن الحركة، وذلك ضد طبيعة الحياة ذاته [٩١].

وهنا تبرز ضرورة أن يتسم سلوك الإنسان بالمسئولية؛ إذ إن السلوك غير المسئول يترتب عليه أضرارًا متعددة على الفرد والمجتمع، ولا يمكن تفادي آثارها.

٥- تكوين الشخصية المتشائمة

يكتشف الدارس -لنشأة المجتمعات البشرية، وأنماط سلوكها وأفكارها-، مجموعة هائلة من الأفكار الغريبة والمثيرة، ومعظمها نبع من تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية التي يعيش فيها؛ إذ رأى مثلاً من ظواهر الطبيعة أمورًا أثارت مخاوفه وقلقه[٩٢]، إلا أنه لم يقف جامدًا نحوها، بل حاول أن يُعمل فكره حتى

وصل، أو خُيل إليه أنه وصل، إلى حلول لتلك المشكلات التي تواجهه، ولكنها حلول تعتمد على الخيال أكثر مما تتقيد بالواقع، وتتعلق بالأوهام أكثر ما تعتمد على البراهين السليمة، وتنتسب إلى عالم الخرافة أكثر من عالم الواقع، ومن ثمَّ فسر الناس كثيرًا من الظواهر تفسيرات خرافية، بل ذهبوا يتلمسون طرق العلاج المناسبة التي تبعد عنهم شرور هذه الظواهر، فعالجوها بالتعاويذ والأحجبة، بل حاولوا أن يكشفوا عن المستقبل حتى يستعدوا للأحداث قبل وقوعها، فتوصلوا إلى علامات تُنذر بالشر قبل حدوثه وتكشف لهم عمّا يخبؤه لهم الغيب، فكان من ذلك نشأة التطير والتشاؤم [٩٣].

ويُعتبر التشاؤم، ورؤية الجانب المظلم من الأشياء، والتوقع السلبي للأحداث القادمة، والشعور بانسداد الآفاق، مصادر لضعف شخصية الإنسان، وفقدان لإمكانية تطلعه إلى ما هو أحسن وأفضل وأقوم.

وتوصلت دراسة "التفاؤل والتشاؤم: دراسة عربية في الشخصية" إلى أن الفشل المستمر في التعامل الإيجابي للإنسان مع بيئته الاجتماعية يؤدي إلى شعور دائم بالتشاؤم، والذي ينعكس سلبيًا على سلوكه وصحته النفسية والجسمية، كما أن يرتبط ارتباطًا جوهريًا بالاضطرابات النفسية أو الاستعداد للإصابة بها، ومن ثمَّ يدفعه إلى القيام بسلوكيات وأعمال خرافية بهدف التخفيف من آثاره[٩٤].

ويعني التشاؤم أن صاحبه يرى الأشياء على غير حقيقتها، حيث يتوهم أسبابًا غير حقيقية تجعله يميل إلى هذا الجانب، كما تنبني تصرفاته على اعتقادات خاطئة لا أساس لها، ولذا أبطلت السُّنَّة النبوية المعتقدات الفاسدة، ووجهت الإنسان إلى ضرورة اتخاذ الأسباب الحقيقية للوصول إلى الأهداف المنشودة بدلاً من توقف حياته على المصادفات التي لا تحكمها أية قوانين[٩٥].

وكانت العرب في الجاهلية تطلق الطيور؛ فإن اتجهت نحو اليمين استبشروا خيرًا، وانطلقوا في سفرهم أو سائر الأعمال؛ أما إذا اتجه الطير شمالاً تركوا سفرهم للتشاؤم، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم[٩٦]، وما تدري الطير

الغيب، وما تنبئ حركتها التلقائية عن شيء من المجهول، ولكن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول تكل إليه ما لا تعرفه وما لا تقدر عليه، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بالله وكلته إلى مثل هذه الخرافات التي لا تقف عند حد، ولا تخضع لعقل، ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين[٩٧]، ولذا أبطلت السُّنَّة النبوية الطيرة ونهت عنها، فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ...**»[٩٨]؛ أي: اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها، معتقدين تأثيرها، فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد[٩٩].

وللزمان دور في مسألة التشاؤم، فقد شاع عند العرب أنَّ المرأة إذا تزوجت في شوال لم توفق في زواجها، وهذا باطل[١٠٠]؛ ولذا بوَّب الإمام مسلم في صحيحه باب: استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، فعن عائشة قالت: «**تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ. وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟**»[١٠١].

ويتفق ما سبق تناوله مع ما توصلت إليه دراسة "الموقف الإسلامي من ظواهر الخرافات: رصد الجذور والممارسات" من أنَّ المنهج النبوي لا يؤيد للناس ترك واجباتهم والتهاون فيها بذرائع واهية، فيتركون أسفارهم ومنافعهم وراءهم، وإنما يدعو إلى كل ما يشجعهم على المثابرة والتقدم، ولذا نجده يرفض ويحرم فكرة التشاؤم والطيرة، والعمل لها، فهي تصدّ عن السعي والعمل، لكنه يؤيد الفأل الحسن، الذي يُثير في النفوس حسّ الاندفاع والعمل[١٠٢].

فعن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ**» **قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»**[١٠٣]، وعن أنس؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ. وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»[١٠٤]، وعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: **ذُكِرَتْ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي**

بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» [١٠٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا**" معناه: أنَّ الإنسان المسلم إذا عزم على أمر توكل على الله فيه، وحينئذٍ لا ترده طيرة ولا غيرها؛ لأنه يعلم علم اليقين أنَّ الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى[١٠٦].

ومن المؤسف أنه لا يزال لدينا الآن صور تنبيء عن التشاؤم بصورة أو أخرى، ومن ذلك أن هناك من يستقرئ صحف الغيب عن طريق الأوهام والخرافات، فلا تكاد تخلو صحيفة من الصحف إلا وبها باب عن حظك اليوم، ولا يزال بعضنا يبدأ قراءة هذه الصحف بقراءة هذا الباب.

٦- التأثير السلبي على نفسية الناشئ

لا شك أنَّ المبالغة والغلو في الخوف لدى الناشيء تدفع به إلى الجُبن، والذي بدوره ينعكس سلبيًا على أدائه وجُهده، وفي أحسن التقديرات، تتسم حياته وطريقة تفكيره بالبطء السيئ، ومن هنا تبدو خطورة الحكايات المروية للأطفال عن المخلوقات الخرافية، والتي تُقدم صورًا تبث الرعب والفزع، وبالتالي تُعزز الخرافة والتخلف، وفضلاً عن ذلك، فهناك الحكايات التي تدور حول ما يُسمى "بالخيال العلمي"، ولكنها أحيانًا ما تُستخدم استخدامًا مبالغًا فيه، ليقترب هذا الخيال العلمي من أن يتعامل مع المستحيل، وما هو أقرب إلى الخرافة[١٠٧].

إنَّ خطورة تجاوز الخيال ومفارقته للواقع واحتمالات المستقبل يضخم من إحساس الطفل بما هو ممكن، وربما، بناء على هذا، يندفع لتقليد ما يسمع أو يقرأ فيصاب بأضرار، وربما بما يهلك[١٠٨]!

ومن الملاحظ أن ذلك لا يقتصر على مرحلة الطفولة، ولكنه في الغالب يتعداه إلى أضرار نفسية لا تزول آثارها في نفس الطفل، وما تولده من مشاعر الخوف من الوحدة، ومن الظلام، ومن تصور الفضاء وكأنه عالم تتزاحمه كائنات خفية مرعبة يصورها له خياله، تترصده لتغدر به وتؤذيه، ومثل هذه المشاعر والأوهام والأحاسيس تجعل الانزواء خلف الجدران هو سبيل الأمن والسلامة، وهذا

النوع من التربية –ولا شك– يُشكل عاملاً من عوامل تمكين صفات الخوف والجُبن، في نفس الصغير حين يشب ويصبح في عداد البالغين[١٠٩].

٧– التأثير السلبي على عملية التطبيع الاجتماعي للناشيء

من أهم أهداف أي جماعة، مهما بلغ حجمها، ودرجتها من التعقد؛ أن تُحافظ على بقائها واستمرارها، وتماسكها وتوازنها الداخلي، وذلك بالحفاظ على عاداتها الاجتماعية، ومعايير السلوك وضوابطه فيها، وقيمها ومعتقداتها؛ بمعنى أن تنقلها إلى أعضائها الصغار الناشئين، بحيث يتمثلونها في سلوكهم وفي تعاملهم مع بعضهم، ثمَّ ينقلونها بدورهم إلى من سيكونون بين أيديهم من ناشئة هذا المجتمع، ومن ثمَّ تهدف الجماعة إلى إحداث تأثير، بل تشكيل، لسلوك أعضائها الصغار ومشاعرهم واتجاهاتهم، فتطبع ما تراه لازمًا لاستمرار بقائها فتجعله قريبًا من أن يكون طبيعة ثانية للطفل[١١٠].

ولذا فمن المفترض أن تُشكل الأسرة بإسهامها الفعال في عملية التطبيع الاجتماعي للناشيء مطلبًا مهمًا من مطالب النمو الاجتماعي، بما تقدمه من محاولات لتعليم الأبناء، وكيفية التمييز بين الصواب والخطأ، والخير والشر، ومعايير الأخلاق والقيم التي هي مستمدة في أغلب الأحوال من العقيدة الدينية للأسرة[١١١].

ولكن ذلك لا يتحقق في بعض الأسر؛ حيث إن بعض الأبناء والبنات يكتسبون عن طريق المحاكاة من الوالدين أو أحدهما بعض الاعتقادات غير الصحيحة، والتي تدور حول علامات الفأل الحسن والفأل السيئ أو التشاؤم، فمثلاً تستخدم بعض الأسر تعاويذ معينة، وتعلق بعض الأحجبة؛ لكي تدفع عنهم الأذى الذي يأتي من أصحاب النوايا غير الطيبة. كما أن هناك من الأسر من تحاول أن تغرس في نفوس الأبناء بعض السلوكيات التي تجلب المشكلات أو تؤدي إلى

التشاؤم****، وفضلاً عن ذلك، فهناك بعض التكوينات التي لها علاقة ببعض الأشخاص، فإذا رأيتهم في موعد أو في أوان معين ثمَّ حدث لك أي مكروه، فإنك تحاول أن تربط هذا المكروه بالشخص وكأنه أسهم في إحداث هذا المكروه، فكل هذه الأمثلة وغيرها يأخذها الأبناء من الآباء أو الأمهات، فيحاولون اعتمادًا على غرسها المستمر أن يحاكوها أو يتمثلوا بها (١١٢).

وبطبيعة الحال، فإن مثل هذه الأفكار وتلك الأحاسيس تؤدي بصاحبها إلى ما يمكن أن يحرمه من توظيف لغة المنطق والفكر، والتي تجعله ينظر إلى مثل هذه الأمور نظرة عقلانية، توجهه فيها إرادته الواعية، التي تمكنه من تفنيد الأمور، والرؤية بوعي، إلى جانب إيمانه الواعي بقدرة الله عز وجل (١١٣).

خلاصة المبحث الثاني

عالج هذا المبحث أهم تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر، وهي تداعيات اجتماعية ونفسية تتعلق بالفرد ذاته، وتنعكس سلبًا على تقدم مجتمعه، وتمثلت هذه التداعيات في بُعد الإنسان عن التفكير الواقعي نتيجة عجزه، وإحساسه بغياب جدوى الأخذ بالأسلوب العلمي في حل مشكلاته، والاعتماد على المصادفة في تقدير الأشياء أو بناء الأحكام، وتواكل الإنسان وعدم أخذه بالأسباب التي أمرت بها السُّنَّة النبوية، وعدم قدرته على تحمل المسئولية والالتزام بتبعاتها، وتكوين الشخصية المتشائمة، والتي ترى الأشياء على غير حقيقتها؛ حيث تتوهم أسبابًا غير حقيقية تجعلها تميل إلى هذا الجانب، أو إلى الجانب الآخر، وأخيرًا تأثيرها السلبي على نفسية الناشئ، وعلى عملية تطبيعه الاجتماعي.

****** من هذه الأفعال التي تتشاءم منها بعض الأسر: سماع صوت البومة أو رؤيتها، وكنس المنزل ليلاً، والغراب وصوته، ورؤية الوجه في مرآة مكسورة، وحياكة الملابس ليلاً وغيرها.**

المبحث الثالث: التصور المستمد من السُّنَّة النبوية لتعزيز العقل العلمي في مواجهة تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر

قال صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**» [١١٤]، فليس العيب أن يخطيء الإنسان، ولكن العيب أن يستمر في الخطأ، وما أفسده الإنسان يصلحه، إذا صح العزم، وصدق اليقين، وجرى التصدي له بإيمان واثق، وإرادة عازمة، وبصيرة نافذة.

ولعل من أهم ملامح التصور النبوي لتعزيز العقل العلمي في مواجهة تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم المعاصر ما يلي:

١- حملته صلى الله عليه وسلم المتكررة على الخرافات

إنَّ إدارة حركة الحياة بدون علم، تؤدي إلى اختلالها واضطرابها وانحرافها وفسادها، فالجهل هدْام، وجهلة الناس قد يفسدون حتى لو أرادوا الإصلاح[١١٥]، ومن هنا نددت السُّنَّة النبوية دائمًا بهؤلاء الذين يطلبون العلم من غير مظانه، وهؤلاء الذين يسلكون ويعملون ويتصرفون بغير علم، على أساس أن العِلم هو المقدمة الأساسية لما يسلكه الإنسان، والمقصود بالعلم هو الأمر المبنيّ على المعلومات الصحيحة[١١٦].

ولذا كان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يدعو الله فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ**»[١١٧]، فالمعرفة التي لا تؤثر في سلوك الإنسان وفي واقع حياته لا قيمة لها، ولا يعتد بها منهج التربية النبوية؛ لأنها لا تُغير شيئًا في واقع حياته.

ومن هنا ركزَّ صلى الله عليه وسلم حملته المشددة المتكررة على الخرافات، التي كان لها في كثير من الشرائع السماوية المحرّفة والوضعية دعاة (عرافون ومنجمون)، يزعمون قدرتهم على خرق سُنن الكون، فجاء صلى الله عليه وسلم، ليعلن أنَّ تلك السنن الكونية لا تتبدل، وأنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله، وأنَّ الخير كله في احترام هذه السُنن، ورعاية قانون الأسباب والمسببات[١١٨].

ومن هنا –فنتيجة الجهل بأحكام الشرع– يلجأ بعض الناس إلى الدجالين ظنًا منهم أن ما يأتون به جزء من الدين، أو أن الدين لا يتعارض مع الخرافة، مع أن الله حرمها؛ لأنهما افتراء على الله بالكذب، والإسلام يبني مفاهيمه على العقل بعد الشرع، والخرافة لا تبني أفعالها إلا على ما يخالف العقل باستخدام القوى الخفية والاطلاع على الغيب المجهول.

قال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أتى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم**» [١١٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[١٢٠]، فاعتبر مجرد إتيانه وسؤاله جريمة منكرة، عقوبتها عدم قبول صلاته هذه المدة، والكاهن هو الذي يُخبر عن بعض الغيبيات، فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها، ويزعم أنَّ الجن تخبره بذلك، والعراف كالكاهن، وقيل: هو كالساحر، وقيل العراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق: من الذي سرقه؟ ومعرفة مكان الضالة، ونحو ذلك، ومثل الكاهن والعراف: المنجِّم، وهو الذي يدعي معرفة الغيوب المستقبلة عن طريق النجوم، وما لها من أسرار وتأثيرات في العالم الأرضي، وبعضهم يسمي المنجم كاهنًا[١٢١].

٢– تكوين العقل العلمي النقدي

إذا كان التفكير يعني استقلال شخصية الفرد واحترام كرامته، فإن التقليد الأعمى يلغي شخصيته؛ لأنه يُسلم قياده إلى غيره ليفكر له، ومن شأنه أن يؤدي إلى انتشار الجهل والأمية الدينية والثقافية والعلمية والاستسلام للخرافات[١٢٢]، فضلاً عن تكوين الإنسان الإمعة الذي لا رأي له، ويتابع كل أحد على رأيه، ولا يثبت على شيء.

وقد توصلت دراسة "**العقل العربي وإعادة التشكيل**" أنَّ من ملامح العقل العلمي الناقد أنه يتميز بالدقة في تعامله مع الغير، ولا يكون إمعة يوجهونها كما يشاؤون، كما يتعامل مع الآخرين وفق مفاهيم ومبادئ، وأسس ثابتة، وليس وفق

أهواء، وآراء سطحية، وهذا الأمر يقتضي، بلا شك، أن يكون العقل محللاً للأمور، متعمقًا في فهمها، والتعرف على خواصها، يدع السطحية عنه جانبًا، ويعطي للتفكير حقه، وما يستوجبه، كما أنه، يُغلب جانب التعقل والتدبر على جانب العاطفة، فلا يكون تبعًا للمشاعر والرغبات العابرة، بل تكون مواقفه محسوبة، ودقيقة، وقائمة على الدقة والشمولية، والأخذ بكل معطيات الموقف وعناصره، الذي يمر به(١٢٣).

بل إنَّ من مظاهر سعي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنمية التفكير السليم أنَّ دعوته استهدفت تربية وهداية تقوم على بث الوعي وإعمال العقل وعدم الاعتماد على المعجزات(١٢٤)، ورفض العقل للخرافة؛ لأن في قبولها إلغاءً للعقل وتعطيلاً له؛ حيث إنها لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان.

ومن أجل ذلك أبطل المنهج النبوي التربوي هذه المعتقدات الفاسدة، ووجَّه الإنسان إلى ضرورة اتخاذ الأسباب الحقيقية للوصول إلى الأهداف المنشودة بدلاً من توقُّف حياته وسلوكه على المصادفات التي لا تحكمها أية قوانين، ولذا رفض صلى الله عليه وسلم ما ذهب إليه بعض الصحابة من تفسير لكسوف الشمس يوم موت ولده إبراهيم حيث قالوا: إن هذا الكسوف قد حدث مشاركة في الحزن على موت إبراهيم، وعلى الرغم مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من شدة الحزن، فإن ذلك لم يمنعه من التصدي لهذه الدعوى حتى لا تنتشر بين الناس(١٢٥)، وقال في حسم قاطع: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا**» (١٢٦)، ولو كان شخصًا آخر غير النبي صلى الله عليه وسلم لكانت هذه فرصة ليوطِّد من علاقة الناس به، ويزيد من تقديسهم له، فما دامت السماء والشمس والقمر يحزنان، ويبادلنه الإحساس، فأولى بالناس أن يعتقدوا به ويربطوا مصيرهم به، لكنه صلى الله عليه وسلم، الذي جاء ليخاطب في الناس عقولهم وفطرتهم، ما كان ليرضى أن تكون الخرافات واسطة بينه وبين قومه، لذلك بادر في وأدها في مهدها(١٢٧).

والرسول صلى الله عليه وسلم بطريقته هذه في إقناع الناس وتعليمهم، إنَّما يقدم لنا الطريقة الصحيحة للتربية والتعليم، ففي هذه الطريقة الإسلامية العلمية سمو بالعقل الإنساني وتحطيم لقيوده[١٢٨]؛ إذ لم يمهلهم أن يسترسلوا في ظنهم وهو محزون الفؤاد على أحب أبنائه إليه، بل أنكر عليهم ذلك الظن، ورآها النبي صلى الله عليه وسلم فرصة للتعليم، وإعادة بناء الإنسان في تمام وعيه وإدراكه، وإعماله لعقله، لا أن يترك نفسه لفكر الخرافة[١٢٩].

إنَّ وظيفة الإنسان العاقل الذي يفكر بمنهجية علمية –تتمثل في التعامل مع مواقف الحياة وظواهر الكون ومكوناته وحركة التاريخ الإنساني على أساس أنَّها جميعها تحكمها قواعد تنظم المقدمات والتفاعلات طبقًا لقوانين محكمة دقيقة، وصارمة، ولا خلل فيها ولا وهن ولا محاباة ولا خصوصية ولا استثناء، ثمَّ العمل على الانسجام معها والحذر من الاصطدام بها عند ممارساته وبناء مؤسساته واختيار وسائله ونظم حياته[١٣٠].

إن الإنسان لا يرى كل أحداث الحياة، ولا يفهم كل أسباب ما يجري من حوله، ولا يعرف كيف يُفسِّر كثيرًا منه؛ ولهذا فإن العقل سيظل وهو يفكر مصدرًا لإنتاج الأوهام، وإن التأني في اعتماد تفسير ما أو تصديق خبرٍ ما، بالإضافة إلى سؤال أهل الاختصاص، من الأمور التي تساعد على حماية عقولنا من استيلاء الخرافة عليها[١٣١].

٣- تربية الإنسان على التوكل

إنَّ هناك سُنّة إلهية لا تخطئها عين مستقرئ لحركة التطور الحضاري، وهي أنَّ الإنسان هو صانع الحضارة بعمله وجهده وبذله، وقد جاءت السُّنَّة النبوية لتوجه سعي الإنسان وحركته، والتوكل الذي أوصت به السُّنَّة النبوية –المسلمين– هو دافع مؤكد للإنسان على السعي والحركة والعمل[١٣٢]، وهو بذلك معنى حافز، وطاقة نفسية، تغمر المؤمن بروح التحدِّي والإصرار، وتشحذ فيه العزم الصارم.

إن شخصية المسلم تأبى عليه أن يعيش على عمل غيره، أو أن يركن إلى عمل السابقين ويتكل عليه، وقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم أن أشرف ما يتناوله الإنسان، وأطيب ما يأكله هو ما كان من عمل يده، فقال صلى الله عليه وسلم: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»(١٣٣).

فالتوكل الشرعي الصحيح هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والثقة بكفايته لعبده مع مباشرة العبد للأسباب المشروعة أو العادية التي جعلها الله سبحانه وتعالى مفضية إلى مسبباتها(١٣٤)، وأنَّ الذي يتعمق في سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم يتبين له أنها ترفض الارتجال والعشوائية، وترك الأمور تجري على علاقاتها بغير ضابط ولا نظام، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يعني ترك الأسباب أو إغفال السُنن، التي أقام الله سبحانه وتعالى عليها نظام هذا الوجود(١٣٥)، ولا يكاد مسلم يجهل قصة الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وترك ناقته أمام المسجد قائلاً: «**يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ قَالَ اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**» (١٣٦)، فوجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنَّ مباشرة الأسباب أمر مطلوب، وهو لا ينافي –بحال من الأحوال– التوكل على الله سبحانه وتعالى ما صدقت النية في الأخذ بالأسباب.

كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المعنى بقوله: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(١٣٧)، وفي ذلك حثّ على التوكل مع الإشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب؛ حيث أثبت الغدو والرواح للطير مع ضمان الله سبحانه وتعالى الرزق لها.

وهنا يبرز جوهر العمل التربوي؛ فالأخذ بأسباب القوة، وعدم الركون إلى مجرد التمني، والحرص على الأخذ بالأسباب، ومهارة التحسُّب للغد، والتخطيط له، والقدرة على استقراء معطيات الحاضر وما تتطلبه من استعدادات لمستقبل لم يأت بعد، كل هذه وما سار على دربها؛ إنما هي قيم سلوكية، واتجاهات عقلية، وميول

وجدانية، ومهارات علمية، تحتاج إلى عمليات تربوية تتواصل وتتعمق عبر طريق طويل، لكن سلوكه أمرٌ لا مفر منه إذا أردنا كسب المستقبل[١٣٨].

فعلى الإنسان أن يتوكل على الله عز وجل، وأن يكون معتقدًا أنَّ التوفيق بيده سبحانه وتعالى، ولكن على الإنسان أن يملك أسبابًا صحيحة وأن يكون قادرًا على التعامل معها، كي يسهل الله له أموره، وأمَّا صحة التوكل على الله فهي ترك النتيجة إليه بعد الأخذ بالأسباب التي سنَّها في الأشياء[١٣٩]؛ والمؤمن يتخذ الأسباب من جانب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيتوكل عليها.

ولقد ربط الإسلام إمكانية الإنجاز بمعرفة الأسباب، وكشف السُنن، التي تحكم الكون وعالم الحياة والأحياء، وقدم القرآن الكريم"ذا القرنين" أنموذجًا متجسدًا لربط الأسباب بالمسببات[١٤٠]؛ فقد حقق ما استطاع تحقيقه بواسطة الأسباب التي يقسمها القرآن الكريم إلى قسمين: أسباب المصادر والموارد، وأسباب السعي الإنساني وحُسن استثمَّار الموارد[١٤١]، قال سبحانه وتعالى: **{ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا } (الكهف: ٨٤ –٨٥)**، والمعنى: "آتاه الله من كلّ شيء معرفة وذريعة يَتَوصّل بها فأَتْبَعَ واحِدًا من تلك الأسباب"[١٤٢]، فمن قدم الأسباب حصد النتائج، أمَّا من تقاعس عن تقديم الأسباب بانتظار الخوارق فلن يحصد إلا رؤى الأحلام والتمنيات.

والرسول صلى الله عليه وسلم أخذ بالأسباب: بلّغ، ودعا، وحاور، وقاتل، وصبر وصابر، وجاهد في الله حق جهاده، وطلب من الله النصر فتحقق له، ولعل في أحداث هجرته صلى الله عليه وسلم ما يوضح وعيه لحقيقة التوكل، حيث خطط لها بوعي وحذر ويقظة وإحكام لكل الأسباب، ثمَّ توكل على الله، ومن ذلك: أنه لم يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة إلا بعد توافر فئة ممتنعة من المسلمين في المدينة، وهيّأ الرأي العام المدني لتقبل الدعوة الجديدة بابتعاث مصعب بن عمير داعية إلى الإسلام، وأمن هجرة أصحابه، واطمأن على سلامتهم، قبل أن يُهاجر،

وبذلك تعزّزت قوة المسلمين الممتنعة في المدينة، كما أمن تأدية الأمانات إلى أهلها بإبقاء علي لأدائها، وحدد زمان ومكان وطريق الهجرة مُسبقًا، وحدد رفيق الرحلة ودليلها، والرّواحل، والمنازل مُسبقًا، وأتقن التمويه على العدو، فبات علي في فراشه، وغيّر الطريق المطروق، وكلف عامر بن فهيرة بالغدوّ والرواح بالأغنام ليعفّي الآثار، ونظم الإمدادات بالغذاء والماء بوساطة أسماء بنت أبي بكر، ونظم التغذية بالمعلومات بوساطة عبد الله بن أبي بكر، وخرج ليلاً وسرًا حتى لا يصطدم بمن أو بما يعيق انطلاقته(١٤٣).

٤- تكوين الشخصية المتفائلة

إن الأمم العريقة إلى يومنا هذا لم يخل أفرادها من التطير بالطيور والحيوانات والأرقام التي يرونها تجلب الحظ أو تؤدي إلى التشاؤم.

وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم محاربًا التطير داعيًا إلى التفاؤل، من خلال تأكيده أهمية قوة الإرادة والتصميم على العمل دون التفات إلى أشكال التعويق المختلفة.

ففي الفأل الحسن بُشرى بالخير، وحث على الاجتهاد وتقوية لإرادة عمل الخير وعون للإنسان على ما هو فيه؛ إذ إنه يساعد الجانب النفسي في حياة الإنسان، ويضفي على معنوياته وروحه الإحساس بالرضا وانشراح الصدر(١٤٤)، كما أن التفاؤل نظرة استبشار نحو المستقبل، تجعل الفرد يتوقع الأفضل، وينتظر حدوث الخير، ويرنو إلى النجاح، ويستبعد ما خلا ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن الظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال(١٤٥)، قال صلى الله عليه وسلم: «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**» (١٤٦)، وكان صلى الله عليه وسلم «**لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ: فَإِذَا أَعْجَبَهُ اسْمُهُ فَرِحَ بِهِ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ**

اسْمِهَا فَإِنْ أَعْجَبَهُ اسْمُهَا فَرِحَ وَرُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهَا رُئِيَ كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»[١٤٧].

إنَّ المتفائل من ذوي الإيمان ينظر إلى الأشياء بمنظار طبيعي، فهو لا يبالغ في تقدير العواقب مبالغة من يتوقع الشر، ولكنه يزن كل بميزانه الطبيعي، ويضع كل عقبة تعترضه موضعها الطبيعي دون مبالغة أو تزيد، ثمَّ يفكر في الحل المناسب في هدوء وثقة.

٥- الأخذ بالأسباب والوسائل الشرعية للعلاج والتداوي

ظن بعض الناس خطئًا أنَّ الاعتقاد بأن الله هو الخالق والمُسير، يؤدي إلى الاعتقاد بأن (التداوي) لا لزوم له باعتبار أن (الشافي هو الله)، فقليل من التفكير لا بُدَّ أن يؤدي إلى التنبه إلى أن الدواء نفسه الذي يستعين به المريض هو من مخلوقات الله، وأن الطبيب الذي يرشد إلى طريق الشفاء هو كذلك ممن خلقهم الله، ومن ثمَّ فالاعتماد على التداوي لا يمكن أن يكون منافيًا للتوكل[١٤٨].

فالله هو الذي يمنع الشر والسوء، ويحمي من كل أذى، وقد علّمنا كيفية اللجوء إليه في الأزمات المستعصية، والتخلص من الأوهام والتخيلات، ومن سيطرة مردة الجن والشياطين، وذلك في سورة الفلق وسورة الناس، واللتان نزلتا معًا، فلذلك قرنتا مع ما اشتركتا فيه من التسمية بالمعوذتين، ومن الافتتاح بقل أعوذ[١٤٩].

إنَّ في الإيمان بالله، وفي قراءة المعوذتين، حجابًا حاجزًا وطمأنينةً لنفس المسلم، ونهايةً لمعاناته؛ مما يحمي النفس ضد أية توهمات أو ادعاءات تصدر عن هؤلاء الدجالين الذين لن يتوانوا كلما أمكن -في ظروف الضعف الإنساني- أن يتسللوا بكل وسائل الأكاذيب والحيل إلى نفس المسلم أو عقله، فالمعوذتان هما تعويذ وحماية بإذن الله، وليستا مدخلاً للخرافة؛ فهما بذلك خاتمة مطاف وغلقًا لأي مدخل من مداخل التوهم بأنَّ عوالم الوجود الأخرى قادرة ومخولة بالتدخل في عالم الإنسان ومسئولية خلافته وتسخيره، وكم هو مؤسفٌ أنَّ تصبح المعوذتان -مفتاحًا لباب الخرافة والإرهاب النفسي من قبل الخرافيين وأصحاب الأغراض[١٥٠].

والله برحمته وفضله هو الذي يوجه رسوله صلى الله عليه وسلم وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذا الشر، ومن المقطوع به أنهم متى استعاذوا به –وفق توجيهه– أعاذهم، وحماهم من هذا الشر إجمالاً وتفصيلاً[١٥١]، فعن يحيى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أخبرني أبو عبد الله أنَّ ابن عابس الجُهني أخبره أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «**يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلَا أَدُلُّكَ أَوْ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا يَتَعَوَّذُ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ**»[١٥٢].

وقد كان صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ**»[١٥٣]، وعن معاذ بن عبد الله عن أبيه قال: «**أَصَابَتنَا ظُلْمَةٌ فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ بِنَا فَقَالَ: قُلْ. فَقُلْتُ مَا أَقُولُ. قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ**»[١٥٤].

خلاصة المبحث الثالث

ركز هذا المبحث على تحديد ملامح التصور المستمد من السُّنَّة النبوية لتعزيز العقل العلمي في مواجهة ظواهر الخرافة، وجاءت ملامح هذا المنهج من خلال مجموعة من الركائز المهمة، لعل أولها، حملته صلى الله عليه وسلم المتكررة على الأوهام والخرافات، أما الركيزة الثانية: فتدعو إلى تكوين العقلية العلمية، والأخذ بالمنهج العلمي وإعمال العقل، وعدم الاعتماد على المعجزات والأمور الخارقة، أما الركيزة الثالثة فتدعو الإنسان إلى التوكل على الله وليس التواكل، حيث أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن التوكل على الله لا يعني ترك الأسباب أو إغفال السُّنَّة التي أقام الله عليها نظام هذا الوجود، وأن التوكل على الله هو ثمَّار الإيمان الكامل، وأما الركيزة الرابعة: فتدعو إلى تكوين الشخصية المتفائلة، حيث كانت شخصيته صلى الله عليه وسلم عظيمة التفاؤل، ومثلت أحد أسباب نجاح رسالته،

بينما ركزت الخامسة على: أهمية الأخذ بالأسباب والوسائل الشرعية للعلاج والتداوي حماية للإنسان من خطورة الدجالين.

نتائج البحث

من خلال ما تم استعراضه من الإطار العام للدراسة والمباحث السابقة، يمكن تحديد أهم نتائج البحث على النحو التالي:

١. جاء المنهج النبوي التربوي ليدعو إلى ممارسة العقل لوظائفه التي أرادها الله سبحانه وتعالى، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصًا على إزالة كل العوائق التي تعوق العقل عن ممارسة نشاطاته، ومن أجل ذلك طالب بتحطيم هذه العوائق ليشق العقل طريقه إلى الفهم الصحيح والتفكير العلمي السليم، وقد تجلى ذلك بوضوح من رفض النبي صلى الله عليه وسلم لكل أشكال الخرافة التي كانت سائدة في الجاهلية قبل الإسلام.

٢. دعا المنهج النبوي التربوي –الذي استمد ركائزه من القرآن الكريم– إلى تفسير الظواهر والأحداث تفسيرًا عقليًا وعلميًا يتفق مع مقررات العقل السليم وحقائق العلم، حيث وقف النبي صلى الله عليه وسلم بحزم ضد تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرًا مخالفًا للعلم أو للعقل، مثل موقفه عندما مات ابنه إبراهيم وتصادف أن كسفت الشمس في ذلك الوقت، وهذا الموقف النبوي الشريف من شأنه أن يفتح باب العلم الصحيح على مصراعيه، ويسدَّ الأبواب الأخرى على الخرافة والتي تدخل في باب الحيل والأوهام.

٣. على الرغم من الرفض القاطع للمنهج النبوي التربوي للاستسلام للخرافات، والحث على الاعتماد على الأخذ بالأسباب، فإنه يشيع –حاليًا– في بعض الأوساط خرافات مشابهة لتلك التي كانت سائدة في الجاهلية قبل الإسلام، مثل: قراءة الطالع أو الفنجان، أو تعليق الأحجبة، أو انتظار لضربة الحظ، أو غير ذلك من أمور يرفضها العقل والمنطق معًا رفضًا قاطعًا ولا

يقرها دين أو شرع بأي حال من الأحوال، الأمر الذي يستوجب التدخل التربوي والدعوي والإعلامي لدحض هذه الخرافات وتوجيه الناس إلى صحيح الدين.

٤. إنه على الرغم من اعتماد المنهج النبوي التربوي على قانون السببية؛ أي ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها، فإن واقع الحال –كما كشفت عنه الدراسة–يؤكد أنه ما يزال بيننا من لا يعتقد بهذا القانون، ويعزو حدوث بعض الظواهر الكونية إلى مسببات غير منطقية، وبالتالي فإن هؤلاء يحتاجون إلى مزيد من التوعية والإرشاد التربوي والديني والثقافي لإصلاح هذا الخلل الواضح في أفكارهم.

٥. يوجد قصور في أداء دور بعض رجال الدعوة والفكر والتربية والإعلام في مواجهة ظواهر الخرافة التي تنتشر بين العامة والمهمشين، بل وفي الطبقات المثقفة في المجتمع.

٦. إن حقيقة التوكل –أي العمل والسعي وطلب السنن والأسباب، ثمَّ التوجه إلى الله بطلب العون والتوفيق منه– إنما تكون بعد أداء العمل وبذل الجهد والسعي والكد والاجتهاد.

المبحث الرابع: كيفية تعزيز التصور النبوي في تربية المسلم المعاصر

ويتم ذلك من خلال المحاور التالية:

أولاً– المقولات المؤسسة

لابد من الإشارة إلى بعض المقولات المؤسسة لهذا التصور، وهي بمثابة الأسس والركائز التي تقوم عليها السُّنَّة النبوية في بناء العقل العلمي في مواجهة ظواهر الخرافة، ومن ذلك ما يلي:

١. يدعو المنهج النبوي التربوي إلى ممارسة العقل لوظائفه التي أرادها الله سبحانه وتعالى، ومن أجل ذلك طالب النبي صلى الله عليه وسلم بتحطيم هذه العوائق ليشقَّ العقل طريقه للفهم الصحيح والتفكير السليم، وقد تجلى

ذلك بوضوح من رفضه صلى الله عليه وسلم كل المعتقدات الخرافية التي كانت سائدة في الجاهلية قبل الإسلام.

٢. يدعو المنهج النبوي التربوي إلى تفسير الظواهر والأحداث تفسيرًا عقليًا، يبتعد عن الاعتقاد في الخرافات والأوهام، ويتفق مع مقررات العقل وحقائق العلم، وذلك من شأنه أن يفتح باب العلم الصحيح على مصراعيه، ويسدَّ على الخرافة والجهل كل الأبواب.

٣. يؤكد المنهج النبوي التربوي أهمية السعي والأخذ بالأسباب، فالإنسان هو الذي يتحرى الأسباب ويأخذ بها، وبالأسباب يصل الإنسان إلى ما يتطلع إليه من المكانة والتقدم والصحة والرفاهية والهدى والصواب والنجاح.

٤. أكد المنهج النبوي ضرورة تجنب أن يتنازل الناس عن تفكيرهم، وعن شخصيتهم، وعن مسئوليتهم؛ إذ إن كل إنسان مسئول عن نفسه، ليس أحد مسئولاً عنه.

ثانيًا- دور بعض وسائط التربية في تعزيز هذا التصور في تربية المسلم المعاصر

في ضوء ما تناوله البحث الراهن من مفاهيم الخرافة وأهم مجالاتها، وكذا التعرض إلى تداعيات انتشار التفكير الخرافي في المجتمع المسلم، وفي ضوء ما تمَّ تحديده من ملامح المنهج النبوي التربوي في مواجهة هذه التداعيات، وكذلك بالاستفادة من نتائج الدراسات السابقة وتوصياتها، فإنه يُحدد بعض أدوار مؤسسات التربية في تعزيز هذا التصور في تربية المسلم المعاصر على النحو التالي:

١- الأسرة

إن البداية الناجحة في بناء العقول وتنميتها هي أن تبدأ الأسرة في رعاية العقول في الصغر؛ إذ إن السنوات الأولى في حياة الفرد هي من أهم الفترات في تكوين شخصيته وتحديد ملامحها الرئيسة.

وقد حثت السُّنَّة النبوية الأسرة المسلمة على إتباع بعض الأساليب التي من شأنها إعلاء الفكر العلمي الذي يقوم على الأخذ بالأسباب، وهو أحد أهم أركان المنهج العلمي الحديث، وذلك على النحو التالي: الأخذ بالأسباب المبنية على العلم، وعدم تعويد الأطفال على إصدار الأحكام المبنية على الظن؛ فالأسرة مسئولة أمام الله سبحانه وتعالى عن أطفالها، ولذلك كان لزامًا عليها أن تنهاهم عن إصدار الأحكام المبنية على الظنون والتخمينات والأهواء؛ لأن ذلك يضرهم، واستفادة الأسرة من حب أطفالها للعب لزيادة نموهم المعرفي، وتعليمهم المهارات الحركية والاتزان الحركي والفاعلية الجسمية، وتنشيط أدائهم العقلي؛ إذ توجد علاقة إيجابية بين ارتفاع الذكاء والنمو الجسمي الصحيح، فالجسم الصحيح يتمتع بعقل سليم يستطيع الإنسان الحكم على الأمور بطريقة علمية صحيحة، وتشويق الأطفال للمعرفة النافعة، ومن الأساليب التي تشوق الطفل إلى المعرفة النافعة أن يشجعه الوالدان على تلمس ومشاهدة الأشياء التي يتحدثان عنها، فالمعرفة الحقيقية لا تتم إلا بالمشاهدة، وما يترتب عليها من ملاحظة وتدريب.

ولذا فعلى الأسرة تزويد أبنائها بالقيم العلمية الصحيحة البعيدة عن الخرافات، وعلى الأم على وجه الخصوص حينما تقوم بحكي القصص المسلية لأطفالها تجنب القصص التي تعتمد على الخرافات، بل يجب عليها أن تُركز على القصص والحكايات المستمدة من الواقع –وما أكثرها في واقعنا الحالي–، وذلك لاستخلاص العبر والقيم الصحيحة، والتي يكون لها دورًا ملموسًا في التكوين العلمي لعقولهم.

وهذا ما أكدته دراسة "**نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ**" من ضرورة اجتناب القصص الخرافية، والتي لا يمكن أن تتحقق في الواقع، كالحديث –مثلاً– عن رجل يدخل في جوف عصفور، ثمَّ يظل ينتقل من مكان لآخر، للتجسس على الناس، ومتابعة أحوالهم في بيوتهم أو نحو ذلك، فهي بالإضافة إلى دلالتها على خُلُق ذميم وهو التجسس، فإنها مخالفة لسنة الله –

تعالى- في الكون، وذلك يبعد الطفل عن الواقع، ويجعله يتعلق بأمور غير قابلة للتحقيق في عالم الواقع، فيغيب بعالمه الخيالي عن عالمه المشهود، وهذا له آثار غير حميدة على الطفل(١٥٥).

ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه نتائج دراسة "**مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**" من أن القصص المنشورة مثل" "سوبر مان" و "الوطواط"، وغيرها تدور أحداثها حول شخصيات خرافية وهمية بعيدة عن الواقع والحقيقة، وهي لا تتضمن معاني تربوية رفيعة، كما أنها لا تهدف إلى غرس الأخلاق والقيم، وأعظم من هذا كله أنها تغفل وجود الله عز وجل تمامًا؛ فأبطال تلك القصص والمجلات، هم الذين يتحكمون في الكون ومقدِّراته، بما أوتوه من قوة خارقة (١٥٦).

٢-المدرسة

فالعلم هو سبيل المتعلم إلى فهم الوجود وإدراك العلاقات الحقيقية التي تربط بين الأسباب والمسبَّبات، ونجاح المتعلم في حياته لا يأتي عفوًا، وإنَّما يعتمد -بالدرجة الأولى- على التخطيط السليم والعمل الجاد والجهد المبذول، فتلك هي المقوِّمات الحقيقية لبلوغ الأهداف المرجوَّة.

ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه نتائج دراسة "**أهمية التثقيف العلمي للطفل**" من أن المدرسة لا بُدَّ أن تتبنى فلسفة تقوم على أساس أن تُقدم للأطفال تعليمًا يقوم على التأكيد والترابط والتكامل بين النشاطات العقلية والنشاطات العملية والفعلية للمنهج(١٥٧).

ولذا، فالهدف الأساسي الذي ينبغي أن تركز عليه المدرسة في عملية التعليم، هو تعليم الطلاب كيفية التفكير العلمي؛ من خلال تزويد الطالب بالأداة التي تمكنه من أن يبحث ويدقق وينظر ويحلل ويفسر ويستنتج ويلاحظ، وأن يكون التفكير من ذلك النوع الذي يقوم على الدليل والبرهان قبل التسليم بصحة ما يسمع أو يقرأ؛ إذ إن من أهم ما يُميز الشخص المتعلم عن الشخص الجاهل قدرته على

تحديد آرائه وبناء أحكامه على أسس علمية سليمة، بحيث لا ينساق وراء الإشاعات ولا يأخذ بالخرافات، ولا يقيم وزنًا كبيرًا للصدفة والحالات الفردية، ولا يتقبل ما يُروى له كقضية مسلمة، ولا يتمسك بالعادات السائدة من غير مناقشتها وبحثها منطقيًا.

وهنا يأتي دور المدرسة في تربية المتعلم على التفكير الناقد مع ما قد يسمعه أو يقرأ عنه من خرافات أو إشاعات أو معلومات مرسلة، خاصة وأننا في عصر تدفق المعلومات بشتَّى أشكالها، وتعدد مجالاتها، ومثل هذا التدفق المعرفي يتطلب عقلاً واعيًا يُنقي به ما يتلقاه ليُميز بين النافع والضار من الآراء، وأن يوازن بينها ويُعمل عقله وفكره في تقييمها؛ إذ إن المبالغة في نشر الأفكار الخرافية والإشاعات والتصورات المبالغة في أفعالها من شأنها أن تفقده ثقته بنفسه.

كما تستطيع المدرسة الإسهام في تكوين العقل العلمي لدى تلاميذها، والبعد عن هذا التفكير الخرافي، وذلك بمناقشة ما تكتبه الصحف والمجلات من أخبار الطالع وما تنبئ به النجوم.

٣-وسائل الإعلام

والإعلام الذي نقصده هنا هو الإعلام الهادف غير المبتذل، المبني على القيم الأخلاقية والإسلامية السمحة سواء كان من خلال الصحف أو الإذاعة أو التليفزيون أو الفضائيات أو من خلال الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) أو غيرها من وسائل الاتصال الحديثة.

ويُلاحظ على بعض ما تمَّ إنتاجه من مسلسلات وأفلام وتمثيليات كان يعتمد على القصص الخيالية كالفانوس السحري وخاتم سليمان وغيرها من أفلام تركز على الحظ والتواكل وترك الأخذ بالأسباب، ولذا فلا بُدَّ أن يتحول الأمر إلى التركيز على أفلام ومسلسلات تعتمد على الخيال العلمي المبني على الحقائق العلمية.

كما تستطيع وسائل الإعلام تكثيف جهودها، بطرح ندوات حوارية لأفراد المجتمع، وإفساح المجال لهم لطرح مشكلاتهم المتعلقة بهذا الجانب، والعمل معهم

على استخراج حلول عملية تساعدهم في تخليص المجتمع من آثار التفكير الخرافي، فضلاً عن ضرورة قيام وسائل الإعلام ببث برامج هادفة وموثقة – نظرية وميدانية– تعتمد منهجًا علميًا تحترم فيه عقلية المشاهد وفكره، وتبصّره بحقيقة التفكير الخرافي، وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع.

ويتفق ذلك مع ما توصلت إليه نتائج دراسة "**سُبُل رفع كفاءة الإعلاميين المتعاملين مع الأطفال لتنمية التفكير العلمي ومحاربة الخرافات**" من ضرورة توافر عناصر هامة يجب مراعتها في المضمون الإعلامي لتنمية التفكير العلمي ومحاربة الخرافات(١٥٨).

٤–المسجد

لا بُدَّ وأن يستثمَّر الدور التنويري والتعليمي للمسجد في العصر الحديث، وذلك من خلال محاولة نشر الوعي العلمي والمعرفي بين أبناء المسلمين، وتفادي شرور الخرافات، من خلال الندوات والمحاضرات العلمية التي تُقام بالمساجد على أيدي أهل العلم والاختصاص من ذوي الخبرات والمعرفة في شتى المجالات.

كما يمكن أن تسهم مكتبة المسجد المزودة بالكتب، والشرائط الدينية والعلمية والثقافية وغيرها، في تقديم خدمة دينية وعلمية وثقافية لأبناءها، وبالتالي فإن الوعي الثقافي العام سيزداد لديهم، وتتقلص معه أشكال التفكير الخرافي.

وفضلاً عما سبق، فلا بُدَّ أن يظهر دور الداعية الجيد في ضرورة النهوض بخطابه الديني موضوعًا وأسلوبًا من خلال الاهتمام بخطبة الجمعة، وأن تكون مستندة إلى القرآن الكريم وصحيح السُّنَّة النبوية، وأن تتجنب تمامًا القصص والحكايات المرتبطة بظواهر الخرافة، والتي لا أساس لها في الإسلام، والتي ربما تكون مُسلية لعوام الناس، وتتلاعب بمشاعرهم وعقولهم، وتحد من انطلاقهم للعمل، ليحل محلها القصص والحكايات التربوية التي تدعو إلى الأخذ بالأسباب والتوكل على الله سبحانه وتعالى، وتُعلي من قيم التفكير والبحث والتفسير والتحليل

والاستنباط؛ فالإسلام دعوة للتفتح والعمل الجاد والتفكير والإقبال على الحياة ولا يقبل الارتكان إلى الخرافات.

ومن الملاحظ أنَّ بعض الناس يلجأ إلى الدجالين إذا لم يقم الدعاة بالتوعية الكافية لمواجهة المشاكل التي يتعرض لها الناس داخل مجتمعاتهم، ومن هنا فلا بُدَّ أن تقوم تلك الفئة بدورها في العلم والهداية والإصلاح.

واستنادًا إلى كل ما سبق، فلابد من إحداث إرادة التغيير لبناء العقل العلمي لدى الإنسان المسلم؛ تلك الإرادة التي تتطلب دفعًا قويًا من جانب المربين والدعويين ورجال الإصلاح ورجال السياسة والاجتماع في المجتمع لتعديل أفكار بعض الناس من أفكار يغلب عليها طابع الخرافة إلى فكر الواقع المرتبط بتحكيم العقل والعلم والمنطق؛ إذ لم يُعد مقبولاً ونحن في بداية العقد الثاني للألفية الثالثة من القرن الحادي والعشرين أن يكون من بيننا من لا يزال فكره يعتقد في قراءة طالع الأبراج، ومن يقرأ الفنجان، ومسار النجوم واتجاهاتها، والتفاؤل أو التشاؤم من بعض الطيور والأرقام.

ومن ثمَّ، فالمسلم يجب أن يكون مستقل الرأي، لا يمشي إلا حيث يهديه دينه وعقله، ولا يتبنى من الآراء إلا ما يقوم عليه الدليل القوي، فإذا دُعي إلى شأن خطير فكر وتدبر، واستعرض جميع وجوهه، وكوَّن له فكرة خاصة: هي التي هداه إليها تفكيره، وأوصله إليها بحثه واجتهاده، ثمَّ يكون عمله في الحياة على ضوء ما وصل إليه.

وإحداث إرادة التغيير لدى الإنسان المسلم لا يمكن إحداثها إلا بقناعة هذا المسلم أو ذاك بضرورة تغيير أحواله، وهنا يقع العاتق الأكبر في إحداث هذه الحالة على رجال الدعوة والتربية والإعلام، لنشر التوعية السليمة في أوساط الناس وتنوير أذهانهم بالأفكار الإيجابية والقيم الدافعة لتقدُّم المجتمع، على أن تتواكب هذه الجهود جنبًا إلى جنب مع جهود أخرى لمحو الأمية الأبجدية من المجتمع، وبمزيد

من التوعية والتنوير ومحو الأمية الأبجدية والتربوية والدينية والثقافية يمكن القضاء على جُلّ أشكال الخرافات.

ومن ناحية أخرى، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأسس التي يبنى عليها الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده منذ خلقهم، وهو أصل أصيل فيه، بدونه لا يكون هناك للناس دين. ومن ثمَّ، فإذا تمت محاربة الدجالين فلن يستطيعوا الاستمرار في نشر باطلهم، لذا لابد من معاقبتهم، وتغليظ العقوبة على من يُروج لفكر الخرافة ومن يلجأ إليها، وإعادة النظر في القوانين والتشريعات المدنية الحالية؛ لأن وضعها الحالي لا يُحقق المطلوب منها، وذلك بما يضمن ردع هؤلاء الدجالين ومن يلجأ إليهم، وعدم عودتهم إلى أعمالهم الخرافية مرة أخرى.

مراجع البحث

١- سعيد إسماعيل علي: ثقافة البُعد الواحد، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

٢- عبد الراضي إبراهيم محمد: "أهمية التثقيف العلمي للطفل"، من بحوث ندوة: تنمية التفكير العلمي والقضاء على التفكير الخرافي لدى الأطفال، مركز رياض الأطفال بجامعة المنصورة بالاشتراك مع مركز الدراسات المعرفية بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، المنصورة، المنعقدة في الفترة من ٢١ إلى ٢٢ أبريل ٢٠٠٣م، ص ٢٧٥.

٣- سميح عاطف الزين: الثقافة والثقافة الإسلامية، ط (٤)، دار الكتاب العالمي، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٦.

٤- يوسف القرضاوي: موقف الإسلام من العقل والعلم، قضايا إسلامية، ع (٢١٥)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، يناير ٢٠١٣م، ص ١٣، ص ١٦.

٥- عبد الرحمن الطريري: العقل العربي وإعادة التشكيل، كتاب الأمة، ع (٣٥)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ١٩٩٢م، ص ١٤٢.

٦- اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة: ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٦. (مادة رقم ٣).

٧- يوسف القرضاوي: موقف الإسلام من العقل والعلم، مرجع سابق، ص ص ٢٨ -٢٩.

٨- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي: سُنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ح (٢٠٠٧)، ص ٤٥٤، وضعفه الألباني.

٩- علي عبد الواحد وافي: الحرية في الإسلام، إقرأ، ع (٣٠٤)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٨٢.

١٠- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، دار ابن رجب، القاهرة، ٢٠٠٢م، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، ح (٢٣٦١)، ص ١٢٤٣.

١١- يوسف القرضاوي: السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، ط (٢)، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٨٠.

١٢- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط (٢١)، م (٥)، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣١٨٢.
١٣- سعيد إسماعيل علي: المعرفة التربوية: الحاضر والمستقبل، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ٩٥.
١٤- سعيد إسماعيل علي: كيف نُربي أبناءنا؟ ط (٢)، كتاب اليوم: السلسلة الطبية، ع (٢٧٩)، دار أخبار اليوم، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٧م، ص ١٣.
١٥- سامية حسن الساعاتي: أسماء المصريين: الأصول والدلالات والتغير الاجتماعي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ٨٨ -٨٩.
١٦- محمد بيصار: العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع، ط (٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٧٥.
17- Wiseman, R. (2003). UK superstition survey. Retrieved from http:/www.richardwiseman.com/resources/superstition_report.pdf. Accessed on 8th March 2013, p.1.
18- Wiseman, R. (2003). The luck factor. *The Magazine for Science & Reason*, 27(3), p.5.
١٩- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة (في إصلاح الثقافة والتربية: رؤية إسلامية معاصرة)، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٤م، ص ص ٧٩ -٨٠.
٢٠- عبد الرحمن عيسوي: سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي مع دراسة ميدانية مقارنة على الشباب المصري والعربي، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٤.
٢١- إبراهيم بن يحيى بن أحمد الحكمي: الحماية الجنائية من جريمة الشعوذة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٤م، ص ١٧١.
٢٢- الدمرداش سرحان ومنير كامل: التفكير العلمي، ط (٢)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٤٨.
٢٣- محمد خليفة بركات: مدخل علم النفس، ط (٢)، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٨٠.
٢٤- عبد الرحمن عيسوي: مرجع سابق، ص ٧.

٢٥- سعيد إسماعيل علي: اختراق العقل الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٣ -٤.
٢٦- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: صحيح البخاري، دار ابن الهيثمَّ، القاهرة، ٢٠٠٤م، كتاب الطب، باب إن من البيان سحرًا، ح (٥٧٦٧)، ص ٦٨٩.
٢٧- عمر عبيد حسنة: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن -فيرجينيا -الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩١م، ص ٤٦.
٢٨- إيمان نور الدين: "دور التلفزيون في التنمية الثقافية للأطفال: مصر نموذجًا"، من بحوث مؤتمر: الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالاشتراك مع كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، المنعقد في الفترة من ٦ إلى ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٢٥.
٢٩- صلاح هاشم: التنمية والجريمة المعولمة: سياسات الإفقار والهدم الخلاق، سلسلة الإصدارات الخاصة، ع (٨٧)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢١.
٣٠- عبد الكريم بكار، تكوين المفكر: خطوات عملية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٧٣.
٣١- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: مرجع سابق، ص ٨٣.
٣٢- سعيد إسماعيل علي: التعليم على أبواب القرن الحادي والعشرين، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ص ٧٦ -٧٧.
٣٣- محمد بن محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، ج (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤١٧.
٣٤- جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٣٤.
٣٥- كرين برينتون: تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٠.
٣٦- نبيل علي: العقل العربي ومجتمع المعرفة: مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، ج (٢)، عالم المعرفة، ع (٣٧٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر ٢٠٠٩م، ص ص ٧ -٨.
٣٧- يوسف القرضاوي: السُّنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، مرجع سابق، ص ١٨٠.
٣٨- فؤاد زكريا: التفكير العلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٧.

٣٩- سعيد إسماعيل علي: أميَّة المُتعلمين، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٨٧.
٤٠- نجيب إسكندر ورشدي فام منصور: التفكير الخرافي: بحث تجريبي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م.
٤١- عبد الرحمن عيسوي: مرجع سابق.
٤٢- أماني عصمت عبد العزيز هيبه: تربية العقل في الإسلام ودورها في مواجهة المظاهر السلبية للتفكير، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٥.
٤٣- عصام أبو الفتوح سعد: التفكير الخرافي وعلاقته ببعض متغيرات الشخصية لدى طلاب مدارس الثانوية الفنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بكفر الشيخ، جامعة طنطا، ١٩٩٨م.
٤٤- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤٥- عبد الراضي إبراهيم محمد: "أهمية التثقيف العلمي للطفل"، من بحوث ندوة: تنمية التفكير العلمي والقضاء على التفكير الخرافي لدى الأطفال، مرجع سابق.
٤٦- السيد محمد حسين: "الدين والخرافة: علاقة انسجام أم تضاد"، نصوص معاصرة، س (٦)، ع (٢٣)، مؤسسة دلتا للطباعة والنشر، بيروت، صيف ٢٠١١م.

47- Wiseman, R. (2003). UK superstition survey. Op.Cit.

48- Wiseman, R., & Watt, C. (2004). Measuring superstitious beliefs: why luck charms matter? *The Para psychological Association Convention*.

49- George, S., & Sreedhar, K. P. (2006). Globalization & the prevalence of superstitious beliefs. *Journal of the Indian Academy of Applied Psychology*, 32(3).

50- Lindeman, M., & Aarnio, K. (2007). Superstitious, magical & paranormal beliefs: an integrative model. *Journal of Research in Personality*, 41.

51- Damisch, L. (2008). *Keep your fingers crossed !The Influences of Superstition on Subsequent task performance and its mediating mechanism*. Doctoral dissertation, University of Cologn, Germany.

52- Kramer, T., & Block L. (2008). Conscious & non- conscious components of superstitious beliefs in judgment & decision making. *Journal of Consumer Research*, 34(6).

53- Damisch, L. Stoberock, B. & Mussweiler, T. (2010). How superstition improves performance? *Psychological Science*, (21)7.

٥٤- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج (١)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٧٣.

55- See:

- Foster, R. & Kokko, H. (2009). The evolution of superstitious & superstition- Like behaviour. *Proceedings of the Royal Society*, 276(1654).

- Huque, M. & Chowdhury, H. (2007). A scale to measure superstition. *Journal of Social Sciences*, 3(1).

٥٦- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٠.

٥٧- لطفي بركات أحمد: الموسوعة التربوية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٣١٣.

٥٨- عبد الكريم بكار: تكوين المفكر: خطوات عملية، مرجع سابق، ص ١٧٢.

٥٩- يوسف ميخائيل أسعد، معتقدات وخرافات، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ص ٨٧ -١١٠.

٦٠- نجيب إسكندر ورشدي فام منصور، مرجع سابق، ص ص ١٨ -١٩.

٦١- عبد الرحمن عيسوي: مرجع سابق، ص ص ١٢- ١٣.

٦٢- السيد حيدر علوي: "الموقف الإسلامي من ظواهر الخرافات: رصد الجذور والممارسات"، نصوص معاصرة، مرجع سابق، ص ٨٥.

٦٣- نجيب إسكندر ورشدي فام منصور: مرجع سابق، ص ص ٥٧ -١٠٨.

٦٤- يوسف ميخائيل أسعد: مرجع سابق، ص ص ٢٢٣ -٤٠١.

٦٥- سناء محمد سليمان: الخرافات والسحر والشعوذة: بين السعادة والوفاق واليأس والشقاق، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ص ٥١ -٥٨.

٦٦- ماجد عرسان الكيلاني: مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٤٦.

٦٧- الدمرداش سرحان ومنير كامل: مرجع سابق، ص ص ٤٩- ٥١.

٦٨- صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الكهانة، ح (٥٧٦٢)، ص ٦٨٨.

٦٩- سُنن الترمذي، كتاب القدر عن رسول الله، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ح (٢١٤٤)، ص ص ٤٨٤- ٤٨٥، وصححه الألباني.

٧٠- سُنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، ح (٢٥١٦)، ص ص ٥٦٦- ٥٦٧، وصححه الألباني.
٧١- صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ح (٢٦٦٤)، ص ١٣٨٨.
٧٢- عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ط (٥)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن -فيرجينيا -الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٥م، ص ٢٢.
٧٣- محمد بن صالح العثيمين: المناهي اللفظية: ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٦٠.
٧٤- سيد صبحي: الإنسان وصحته النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٧.
٧٥- المرجع السابق، الصفحة نفسها.
٧٦- سعيد إسماعيل علي: تجريف العقول، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٨٩.
٧٧- أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، ط (٤)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٠م، ص ٤٣.
٧٨- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، ح (٤٩)، ص ٤٣.
٧٩- مجموعة من المختصين: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إشراف صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، م (٤)، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ١٩٩٨م، ص ص ١٣٧٩- ١٣٨٠.
٨٠- محمود حمدي زقزوق: قيم منسية، قضايا إسلامية، ع (٨٠)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠١م، ص ص ١١٨ -١١٩.
٨١- نجيب إسكندر ورشدي فام: مرجع سابق، ص ١٤٣.
٨٢- سعيد إسماعيل علي وهاني عبد الستار فرج: فلسفة التربية: رؤية تحليلية ومنظور إسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٤٧٤.
٨٣- ماجد عرسان الكيلاني: أهداف التربية الإسلامية، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦٩.
٨٤- عبد الكريم بكار: كيف نرتقي بفكر أبنائنا؟ دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٧م، ص ١٧.

٨٥- هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٥٠.
٨٦- عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص ص ٨٠- ٨١.
٨٧- محمود حمدي زقزوق: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ص ٢٤٣- ٢٤٤.
٨٨- محمد عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ط (١٠)، تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٣٧.
٨٩- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح (١٨٩٢)، ص ٩٨٣.
٩٠- عباس محجوب: "التربية على المسئولية"، الوعي الإسلامي، س (٢١)، ع (٢٤٢)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، أكتوبر ١٩٨٤م، ص ٢٩.
٩١- محمود حمدي زقزوق: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤٢.
٩٢- عبد المحسن صالح: الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، عالم المعرفة، ع (٢٣٥)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو ١٩٩٨م، ص ص ٧ -٨.
٩٣- الدمرداش سرحان ومنير كامل: مرجع سابق، ص ص ٤٣- ٤٤.
٩٤- أحمد محمد عبد الخالق، وبدر محمد الأنصاري: "التفاؤل والتشاؤم: دراسة عربية في الشخصية"، من بحوث مؤتمر: الإرشاد النفسي للأطفال ذوي الحاجات الخاصة، المؤتمر الدولي الثاني لمركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، القاهرة، المنعقد في الفترة من ٢٥- ٢٧ ديسمبر ١٩٩٥، ص ١٣٣.
٩٥- محمود حمدي زقزوق: قيم منسية، مرجع سابق، ص ١١٧.
٩٦- يحيى بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، ج (٧)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٤٨٠.
٩٧- سيد قطب: مرجع سابق، ص ٢٦٤٥.
٩٨- محمد بن يزيد القزويني الشهير بـ (ابن ماجه): سُنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، كتاب الطب، باب من كان يُعجبه الفأل ويكره الطيرة، ح (٣٥٣٨)، ص ٥٩٠، وصححه الألباني.

٩٩- يحيى بن شرف النووي: مرجع سابق، ص ٤٨٠.
١٠٠- محمد بن صالح العثيمين: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، م (٢)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ١٧٥٢.
١٠١- صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال واستحباب الدخول فيه، ح (١٤٢٣)، ص ص ٧٠٨ -٧٠٩.
١٠٢- السيد حيدر علوي: "الموقف الإسلامي من ظواهر الخرافات: رصد الجذور والممارسات"، نصوص معاصرة، مرجع سابق، ص ١٠٠.
١٠٣- صحيح مسلم، كتاب السَّلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ح (٢٢٢٣)، ص ١١٨١.
١٠٤- صحيح مسلم، كتاب السَّلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ح (٢٢٢٤)، ص ١١٨١.
١٠٥- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سُنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، كتاب الطب، باب في الطِّيَرة، ح (٣٩١٩)، ص ٧٠٣، وضعفه الألباني.
١٠٦- سميح عاطف الزين: علم النفس في الكتاب والسُّنَّة، م (٢)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٢٢.
١٠٧- سعيد إسماعيل علي: تربية الأبناء علم له أصول، ط (٢)، كتاب اليوم الطبي، ع (١٦٥)، دار أخبار اليوم، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٥م، ص ص ٤٩- ٥٠، ص ٦١.
١٠٨- المرجع السابق، ص ٦٢.
١٠٩- عبد الحميد أحمد أبو سليمان: مرجع سابق، ص ص ٩٧- ٩٨.
١١٠- سيد أحمد عثمَّان: علم النفس الاجتماعي التربوي: التطبيع الاجتماعي، ج (١)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ص ١٧- ١٨.
١١١- سيد صبحي، مرجع سابق، ص ٦٦.
١١٢- المرجع السابق، ص ص ٦٦- ٦٧
١١٣- المرجع السابق، ص ٦٨.
١١٤- سُنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ح (٤٢٥١)، ص ٧٠٤٣، وحسنه الألباني.

١١٥- أحمد رجب الأسمر: النبي المُربي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عَمّان، ٢٠٠١م، ص ٣١٤.
١١٦- سعيد إسماعيل علي: "سياسات التعليم في مصر بين الشفافية وتجفيف ينابيع المعلومات"، من بحوث مؤتمر: الإدارة التعليمية في الوطن العربي في عصر المعلومات، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية بالاشتراك مع مركز تطوير التعليم الجامعي، المنعقد في الفترة من ٢٧-٢٩ يناير ٢٠٠١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٦.
١١٧- صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح (٢٧٢٢)، ص ١٤١٣.
١١٨- يوسف القرضاوي: السُنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، مرجع سابق، ص ١٩٤.
١١٩- سُنن أبي داود، كتاب الكهانة والتطير، باب في الكهان، ح (٣٩٠٤)، ص ٧٠١، وصححه الألباني.
١٢٠- صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح (٢٢٣٠)، ص ١١٨٥.
١٢١- يوسف القرضاوي: السُنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، مرجع سابق، ص ١٩٥.
١٢٢- محمود حمدي زقزوق: قيم منسية، مرجع سابق، ص ص ٤٩ -٥٠.
١٢٣- عبد الرحمن الطريري: مرجع سابق، ص ١٤٣.
١٢٤- سعيد إسماعيل علي: السُنَّة النبوية رؤية تربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧.
١٢٥- محمود حمدي زقزوق: الإنسان والقيم في التصور الإسلامي، مرجع سابق، ص ٢٤٠.
١٢٦- صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، ح (١٠٤٠)، ص ١٢٠.
١٢٧- جعفر سبحاني: "الإسلام والحرب على الخرافات"، نصوص معاصرة، مرجع سابق، ص ١٥.
١٢٨- محمد حسين هيكل: حياة محمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ١٦٥-١٦٦.
١٢٩- سعيد إسماعيل علي: السُنَّة النبوية رؤية تربوية، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

١٣٠- ماجد عرسان الكيلاني: مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، مرجع سابق، ص ١٤٦.
١٣١- عبد الكريم بكار: تكوين المفكر: خطوات عملية، مرجع سابق، ص ١٧٤.
١٣٢- محمد البهي: الإسلام في حياة المسلم، ط (٣)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٢٣.
١٣٣- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ح (٢٠٧٢)، ص ٢٣٤.
١٣٤- عبد الكريم زيدان: السُنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ط (٣)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨، ص ٣٢.
١٣٥- يوسف القرضاوي: السُنَّة مصدرًا للمعرفة والحضارة، مرجع سابق، ص ١٨٦.
١٣٦- سُنَن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٦٠)، ح (٢٥١٧)، ص ٥٦٧، وحسنه الألباني.
١٣٧- سُنَن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في التوكل على الله، ح (٢٣٤٤)، ص ٥٢٩، وصححه الألباني.
١٣٨- سعيد إسماعيل علي: الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٢٥١.
١٣٩-سميح عاطف الزين: مرجع سابق، ص ٦٨٥.
١٤٠- عمر عبيد حسنة: مرجع سابق، ص ١٦.
١٤١- ماجد عرسان الكيلاني: فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٤٦.
١٤٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج (٣)، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٦٩.
١٤٣- أحمد رجب الأسمر: مرجع سابق، ص ص ١١٣- ١١٤.
١٤٤- أحمد عمر هاشم: مفاهيم دينية، دراسات إسلامية، ع (١٠٧)، ج (١)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، يوليو ٢٠٠٤، ص ١٩.
١٤٥- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج (١٠)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٦١.

١٤٦- صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، ح (٥٧٥٤)، ص ٦٨٧.
١٤٧- سُنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطِّيَرة، ح (٣٩٢٠)، ص ٧٠٣.
١٤٨- سعيد إسماعيل علي: "شخصية المسلم بين السواء والصحة"، المسلم المعاصر، مؤسسة المسلم المعاصر، بيروت، نوفمبر- ديسمبر- يناير ١٩٩٧م، ص ٢٣.
١٤٩- وهبة الزحيلي: التفسير الوسيط، ج (٣)، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٢٩٦١.
١٥٠-عبد الحميد أحمد أبو سليمان، مرجع سابق، ص ٨٨.
١٥١- سيد قطب: مرجع سابق، ص ٢٥٤٦.
١٥٢- أحمد بن شعيب بن علي الشهير بـ (النسائي): سُنن النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، كتاب الاستعاذة، ح (٥٤٢٣)، ص ٨١٩، وصححه الألباني.
١٥٣- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام، ح (٦٣١٩)، ص ص ٧٤٢- ٧٤٣.
١٥٤- سُنن النسائي، كتاب الاستعاذة، ص ٨١٨، ح (٥٤٢٨).
١٥٥- محمد بن شاكر الشريف: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، كتاب البيان، ع (٦٧)، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٤٧.
١٥٦- عدنان حسن صالح باحارث: مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، ط (٦)، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدّة، ١٩٩٧م، ص ص ٣٥١ -٣٥٢.
١٥٧- عبد الراضي إبراهيم محمد: "أهمية التثقيف العلمي للطفل"، من بحوث ندوة: تنمية التفكير العلمي والقضاء على التفكير الخرافي لدى الأطفال، مرجع سابق، ص ٢٧٤.
١٥٨- منال أبو الحسن فؤاد: "سُبُل رفع كفاءة الإعلاميين المتعاملين مع الأطفال لتنمية التفكير العلمي ومحاربة الخرافات"، من بحوث ندوة: تنمية التفكير العلمي والقضاء على التفكير الخرافي لدى الأطفال، مرجع سابق، ص ٢١٣.